روايات  عالمية

THE HEART OF THE STORM

قلب العاصفة

٥٠ مليما

روايات عالمية

العدد رقم ٣٢٥

قلب العاصفة

تأليف داڤيد بيتى
ترجمة السيد وفائى

الجزء الأول

بداية ربع الدائرة
الجنوبى ـ الشرقى
١٥ أكتـــوبر

- ١ -

آهتزت جميع خرائط الرسم البيانى عن الطقس ، فى جميـــع انحاء العالم ، لتسجل سلسلة من الدوائر المتراكزة الدالة على مرور الاعصار ، الذى يطلق عليه ضباط الأرصاد الجوية اسم « فيليسيتى » « اعصار الهنا » بالبحر الكاريبى . وكان يندفع فى طريقه هـــادرا منذ ثلاثة ايام فى اتجاه كوبا وميامى . وكانت الظواهر تدل عـــلى انه سيسلك طريق الأعاصير السابقة الى الشاطىء الأمريكى ، ثم يعرج يمينا جنوبى نيو فوندلاند ، ولكنه اختفى فجأة ، ولم يظهر له اى اثر لمدة اسبوع .

وعلل المختصون ذلك بأن الاعصار قد قضى على نفسه بنفســه الا ان الاعصار لم يكن اقل حيوية مما كان حينئذ . وكل مافى الأمر انه بدلا من أن يتجه غربا ، انحرف فى الاتجاه المضاد صوب متسع الاطلنطى بعيدا عن الموانى والشواطىء لينسحب متسللا شـــمالا بشرق الى شواطىء الآزور .

وبدات مساحات شاسعة من المحيط تحس بشــــدة وطأته ، وعصفت الرياح فى الجو مندفعة غاضبة ، واتخذ الاعصار سبيله فى المحيط كمدمرة أطلقت العنان لسرعتها وقوة محركاتها .

وقد فاجا الاعصار الجميع بتغيير اتجاهه ، حتى أن الطــائرة « ايزى زيرا » التى كانت قد قطعت حينئذ منتصف الألفى ميل التى تفصل برمودا عن شواطىء الأزور ، بدات تتمايل وتهتز فجــأة قبل أن يتمكن ضباط الأرصاد على ظهرها من تبين السبب فى ذلك ، عندما اكفهرت السماء فى الصباح وفاجأتهم العاصفة على حين غرة وكانت الطائرة ج ـ اهىز ، التابعة للخطوط الجوية البريطانية ، تطير على ارتفاع ١٩٠٠٠ قدم فى طريقهــا من برمودا الى الأزور ، عندما تبين احد الملاحين المدعو باتس من اجهزة التسجيل أمامه ـ أن الرياح تتجه شمالا بشرق ـ فتأمل ما امامه مرة أخــــرى غير مصدق لما يراه ، معيدا فحص مؤشرات التسجيل ،متبادلا الحديث مع مارك كيلستون ، الجالس فى مقعد القيادة وقد استدار له هذا وفى عينيه وميض متفكه قائلا :

ـ ماذا بك ؟ . اهى مسز باتس من ينشغل بها بالك ؟ .

فنظر الملاح لقائده مبتسما ، لأنه أدرك مايعنيه الكابتن بقــوله هذا . فقد كانوا يطلقون على الجهاز الذى يتعهده باتس ، فى هذا الفرع من خطوط الطيران البريطانية التى تعبر الأطلنطى ، بين باناما ولندن مارة بجامايكا وبرمودا ، والآزور ولشبونة ومدريد ، اســم مسز باتس . اذكان هذا الجهاز هو كل مايستطيع أن يراه من مكانه ، ولكم قضى الساعات الطوال يتأمله محدقا النظر فيه . وكان فى هذه المرحلة بالذات ، قد اختلف فى الراى مع مهندس الطائرة ، هوكنز حول قوة احتمال محرك من محركات الطائرة ، فأجاب بقوله :

ـ كلا ياسيدى ، ان مســز باتس بخير .

وكان كيلستون محدقا النظر فى الافق أمامه ، حيث راى سحابة سوداء كبيرة تغطى صفحة السماء وتبدل زرقتها سوادا . وما أن

الإداد بطائرته قربا منها ، حتى لاحظ وجود تجمعات من السحب تمتد فى كل اتجاه . وتبين من وضع هـذه السحب أنها ليست عرضا جويا طارئا لامعقبات له ، بل توقع أنها من الظواهر التى لـم يكن براها الا نادرا .

وانتظر حتى انتهى الملاح من مراجعة ما امامه من اجهزة ، ثم سأله قائلا :

ـ هل تستبين مما امامك مايدل على أن هناك رياحا قوية تهب من الشمال الشرقى ؟.

فلمعت عينا باتس دهشة وهو يقول :

ـ تماما ياسيدى . هذا هو عين الصواب ، هو ذاك فعلا .

فسأله الكابتن :

ـ هل رأيت السحب فى الجانب الأيمن ؟.

ـ كلا ياسيدى .

ـ اذن ، تعال لترى بنفسك ؟.

وترك باتس مقصورة الملاحة ، وصعد الى قمرة الطيار ، مارا بهوكنز الذى كان مشغولا بتسجيل سرعة الطائرة ، كما شاهد درابر ضابط اللاسلكى ، يبعث الى مطار سان ميجويل بالمعلومات الأخيرة عن موقع الطائرة .

اما الضابط الأول فكان نائما فى ساعات راحته ، بناء على ماكان يراه كيلستون ، من حاجة ضابطه الأول للراحة بعد الساعات الأولى من الانطلاق بالطائرة . وقد سمع باتس ، قائد الطائرة يقـول لـه :

ـ حذار إن توقظ مستر شوجنيسى من نومه ـ وكانت فى صوت كيلستون رنة حنق وسخط . فقد كان مستر شوجنيسى حديث العهد بالخدمة ، واحد هؤلاء الضباط الشبان الذين الحقوا

اخيرا بالشركة ، أن مستر شوجنيسى بحاجة الى كل دقيقة من النـوم .

وابتسم باتس مؤمنا على ملاحظة القائد ، ثم اتجه بنظره الى اليمين من خلال نوافذ القمرة . وما أن وقع بصره على ما وقع عليه ، حتى غاضت الابتسامة من وجهه وصاح قائلا :

ـ يا الهى !.

فقد راى على بعد بضعة اميال من الطائرة ، كسفا من السحب البيضاء تطفو عالية فى الجو ، ثم تبين أن السحب قد ازدادت كثافة فى اتجاه الجنوب . وراى باتس من ذلك الخطوط الأولى لعاصفة هوجاء . فعلق على هذا قائلا :

ـ لم يسبق لى أن رأيتها قد بلغت هذا الارتفاع .

ـ بلى . انها على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم تقريبا ، لقد كانت اول ما وقع نظرى عليه عندما ناديتك .

وكأن الطائرة قد شعرت بما ينتظرها ، فاهتزت أجنحتها وزارت محركاتها ـ وكان فى ذلك ما يكفى لايقاظ شو جنيسى من نومه ففتح عينيه محاولا أن يطرد عنهما سلطان الكرى ، ودار بهما فيما حوله وهو لا يدرى من أمر نفسه شيئا . واخيرا وقع نظـره عـلى السحب المتجمعة ، دلائل جو سيء .

ـ ياسيدى القائد .

قالها وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح أمامه ، به بعض النصـــوص التى ينقلها لغيره دون أن يعنيه منها شيئا .

فقال له باتس وهو يربت على ظهره :

ـ كيف تأتى لك أن تتبين ذلك ؟. انك لجدير بأن يعهد اليـك بعملية الأرصاد الجوية فى هذه الأيام .

وحاول باتس أن يتخذ لنفسه من سمات الجد ، وهو يقـول ذلك ، ما يقنع شو جنيسى بانه لا يهزأ به .

ولاحظ كيلستون أن وجه الشاب قد احمر خجلا فقال له ليسرى عنه :

ـ لاعليك . انه لم يدرك شيئا من ذلك الا بعد أن نبهته أنا اليه ثم اتبع قوله هذا باصدار بعض الأوامر لباتس ، بما يناسب حالة الجو الجديدة .

وعاد باتس الى اجهزته وخرائطه ومقاييس أرصاده ، يدرسها ليخرج منها بعرض صحيح لما يمرون به وما ينتظرهم .. وجلس مستغرقا فيما أمامه . وهنا سمع شو جنيسى يقول للكابتن مترددا:

ـ قد يؤخرنا هذا الجو عن مواعيدنا ياسيدى .

وهذا ماسيكون فعلا . ان اتجاه الرياح سيتغير كلية . لقد احسنا صنعا بمغادرة برمودا فى الوقت المحدد لنا .

ـ ألم نجازف بذلك ياسيدى ؟.

ـ كلا . ان مايقابلنا الآن هو من الظواهر الجوية المفاجئة . ولو كنا قد تنبأنا بها ، لكنا أعددنا العدة لمواجهتها .

ـ أما من سبيل لتفادى هذه العاصفة بسلوك طريق دائرى؟

ـ ليس لدينا من الوقود مايكفى للقيام بهذه المحاولة .

وتأمل الضابط الأول الطقس في الخارج وأدرك لتوه مدى شدة هذه العاصفة ، كما أدرك أنها ستكون جزءا من مستقبل حياته فسرت القشعريرة فى بدنه وتمتم قائلا :

قد تزداد الأمور سوءا .. انها عاصفة هوجاء ، لم يحسب لها حساب .

فرفع كيلستون كتفيه فى غير اكتراث وقال :

ـ يجب أن تتوقع مثل تلك المفاجئات فى عملنا هذا .

ثم مال الى الأمام وراح يتأمل حبات الصقيع على الزجاج ،وهى تتكاثر وتتبلور . ونادى قائلا :

ـ مستر هوكنز . عليك بمراقبة الوقود واتخاذ مايلزم لعدم تجمد الصقيع عند المخارج . ثم طلب من مستر باتس أن يخبر المضيف بتعهد الركاب والعناية بأمرهم .

وبتلك الأوامر والاستعدادات ، كان كيلستون يعد الطائرة « ايزى زيرا » لمواجهة العاصفة . وكان يلقى بنظرة من وقت لآخر على جناحى الطائرة ، ليطمئن على عدم تراكم الثلوج عليهما ، الأمر الذى من شأنه لوحدث ، أن يزيد من ثقل الطائرة ، ويعرقل قوة اندفاعها .

وبعد ان انتهى باتس من تحديد موقع الطائرة واتجاه الرياح ، وقف عند باب كابينة القائد ، يتأمل كتفيه الثابتتين ، معجبا باتزانه مقارنا بينه وبين غيره من قواد الطائرات وماكانوا يفعلونه فى مثل هذه الظروف واستعاد ماكانوا يسببونه من قلق لمن يعمل معهم ويقيمونه من ضجة وانفعال . أما مع كليستون ، فكان الهدوء والثبات . وما كان مثل هذا الجو ليحرك منه ساكنا بأكثر مايحرك منه الجو الهادىء الساكن المثالى . ولذلك أطلق عليه كل من عمل معه من مساعدين ، اسم « الرجل الحديدى » ، لثباته واتزانه ، ولصرامته مع كل من يعمل معه . ولهذا السبب بالذات ، كان بعض الضباط يعزف عن العمل معه .

واندفع كليستون بطائرته يخترق العاصفة ويقاوم الاعصار الذى كان يفوق فى شدته وفى سرعته ، تلك المحركات التى يتحكم فيها ربان الطائرة البطل . وكان يتركها أحيانا لتهوى به بين طبقات السحب ، وكأنها جواد برى مستجبر مارق عنيد .

ونادى باتس من مقصورة الملاحة صائحا :

ـ أرتفع بها حتى تجتاز أعلى السحب ، بكل ماتستطيعه طائرات « مارلبورو » البريطانية .

وبيد ثابتة أمسك كيلستون بعمود الارتفاع وجذبه لتستقيم الطائرة صعودا حتى كادت أن تنقلب على ظهرها ، لولا تداركه الأمر

فى آخر لحظة ، ثم استفسر من مستر شو جنيسى ، عما اذا كان هناك ثلوج متراكمة على الجناح الذى الى جانبه ، فأجابه بالنفى . الا ان المحرك رقم ٢ بدأ يحدث أصواتا حدت بكيلستون أن يستفسر من هوكنز عن مصدرها . فأجابه هذا بأن السبب فى ذلك هو تجمد الثلوج عند مخارج « الكاربوريتر » نتيجة للارتفاع الذى انتقلت اليه الطائرة فجأة . واصدر القائد أوامره الى كل من باتس وهوكنز بالعمل على تلافى هذا الأمر بكل الوسائل الممكنة .

وكانت الطائرة فى هذا الوقت ، قد دخلت بيت العنكبوت كما يقولون ، أى أنها أصبحت فى مكتنف من دوامات الاعصار الضخمة القوية الاندفاع . ومع ذلك فقد كانت « ايزى زيرا » مندفعة فى طريقها لاتلوى على شىء ، غير عابئة بتلك الأيدى الممتدة اليها من العاصفة ، تريد أن تمسك بها وكانت تمرق منها وتهرب من قبضتها هازئة بها .

وليس من شك فى ان التنقل داخل الطائرة كان امرا مستحيلا . واجل المضيف تقديم طعام الغداء . وشعر معظم ركاب الطائرة الستة عشر بوعكة من أثر الحركة العنيفة .

وكان من بين المسافرين مستر باركنسون ، أحد الشخصيات الهامة والعضو فى عدة هيئات سياسية . « وقد أوصى به كيلستون خيرا ، وطلبت الشركة من قائد الطائرة أن يعمل على راحته » . وقد جلس هذا قابعا فى مقعده يقاسى مما الم به فى صورة مزرية .

ولكن كل هذا لم يكن بشىء . فقد استطاعت « ايزى زيرا »أن تشق طريقها وسط العاصفة بسرعة تجاوزت ١٦٠ ميلا فى الساعة وعلى مرمى البصر فى الناحية الشرقية من سطح الأطلنطى ، كانت هناك باخرة شاء لها حظها التعس أن تقع فى قبضة العاصفة ، لتندفع حيث يوجهها الاعصار العاتى . وكانت هذه الباخرة البرتغالية تدعى « سانتا لوشندا » .

وكان ضابط اللاسلكى « درابر » يتابع من مكانه آشارات الاستغاثة التى بلغت اذنيه غامضة فى أول الأمر . وبعد ان تبينها استدار لكيلستون قائلا :

ــ ان بعضهم يستغيث بنا »

وكان الكابتن مركزا انتباهه فيما أمامه من آلات فلم يسرع بالرد على درابر . وبعد قليل سمعه هذا يسأله :

ــ أسفينة هى ؟ .

ــ أجل ، باخرة تدعى سانتا لوشندا »

ولم يدر بخلد درابر ان الأمر يعنيهم فى كثير أو فى قليل .. ان الاشارات التى التقطها اشارات موجهة الى ماعساه يكون فى هذه المنطقة من سفن أخرى أو دوريات انقاذ بحرية أو جوية . أما طائرتهم فهى فى خط سيرها العادى . وهى فى هذه الظروف بالذات فلم يكن بوسعها عمل شىء ولكنه سمع كيلستون يقطع عليه حبل تصوراته قائلا :

ــ هل تبينت موضعها ؟ .

ــ أجل . . لقد حددت مكانها ،

ــ اذن فلتبلغ به باتس ، اريد أن أعرف كم تبعد هذه الباخرة عنا ؟ .

فأجابه درابر وفى صوته ما ينبىء عن أن ذلك ليس من اختصاصهم .

ــ ان قاطرتين من سفن الانقاذ قد غادرتا بونتادلجادا فعلا »

ــ سيان عندى ذلك ، اصدع بما أمرت .

وصدع درابر بما أمر به فعلا ، وتبادل المعلومات مع باتس الذى صاح قائلا :

ـ انها تبعد ثلاثين ميلا جنوبى طائرتنا يا سيدى القائد .. وهى لا تبعد عن ميناء سان ميجويل بأكثر من عشرين ميلا .. وامامنا ثلاث ساعات من الطيران المتواصل اذا استمر هبوب هذه الرياح العاتية .

شكرا يا باتس .

وحاول باتس أن يستشف شيئا مما تختلج به نفس قائده ، ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا ، ورأى أخيرا أن يتم معلوماته قائلا :

سنتأخر ساعة من موعد وصولنا .

توقعت شيئا من هذا القبيل .

وتبادل معه كل من باتس ودرابر بعض الملاحظات . ولكنه ضرب صفحا عنها قائلا لهوكنز :

ـ اريد تقريرا دقيقا عن حالة الوقود يامستر هوكنز .

وكان الضابط الأول ، شوجنيسى ، قد تعلق بصره فى هذا الوقت بالجناح القريب منه ، عندما لاحظ تراكم حبات الجليد عليه ولم يجد بدا من اخطار قائده بذلك فى صوت حاول أن يسيطر على نبراته حتى لا يكشف عن شدة قلقه . فسأله كيلستون قائلا :

ـ كم يبلغ سمكها ؟ .

ـ حوالى البوصة .. ولكنها تتزايد بسرعة .

ونهض هوكنز عن مقعده عندما سمع هذا الحديث . ان شيئا ما يجب أن يتم على وجه السرعة . فسأل الكابتن .

ـ هل سنواصل الارتفاع ؟ .

ـ كلا .. بل سنهبط بها قليلا .. مستر درابر ، اخطر برج المراقبة اننا سنهبط الى ارتفاع ١١٫٠٠٠ قدم فقط ، ثم استدار الى هوكنز يسأله عن حالة الوقود ، فأجابه بأنه كاد ينتهى من ذلك .

وعندئذ امتدت يد درابر تدفع هوكنز عن طريقه الى مقعدى الطيارين .. فتنحى هذا جانبا وسأله فى دهشة :

ـ ماذا دهاك ؟ . فيم هذه العجلة ؟ .

فصاح درابر :

ـ اشارة عاجلة .. لم تتمكن القاطرتان من الاهتداء الى مكان الباخرة . برج المراقبة يستفسر : هل لدينا مايكفى من وقود للمساعدة ؟.

ولم يكن درابر ليقر هذا الطلب بحال ما .

وكان رد كيلستون الذى أذهل الجميع :

ـ قل لهم نعم . واطلب من برج المراقبة أن يخلى لنا طريق الهبوط .

ـ ٢ ـ

وكان كليستون يدرك ان ماطلب اليه ليس مما يجرى دائما .. حقيقة انه كثيرا ماكان يطلب الى الطائرات أن تحدد فى طريقها مكان وجود السفن التى تمر بمحنة ما ، ولكنه لم يكن يطلب اكثر من هذا وانه ليعلم كقائد لهذه الطائرة ، انه مسئول عن أرواح ٢٣ راكبا معه . وهو يعرف أيضا انه قد قرر البحث عن هذه الباخرة . ولكن كيف يتأتى له ذلك فى حدود مسئوليته التى يضطلع بها ؟ .

وبدأ يوزع انتباهه بين قيادة الطائرة فى هذه الظروف العصيبة وبين وضع الخطة لما استجد أمامه من صعوبات بتقريره الاندفاع لاغاثة هذه السفينة المنكوبة فى محنتها .

وكان يدرك أن هذه المهمة لم تكن بالسهلة الميسرة ، كما يعلم أن عليه فى هبوطه حتى يجتاز سحب العاصفة ، أن يتفادى قمم

جبال جزر الآزور العالية التى يبلغ ارتفاع بعضها اكثر من ثمانية آلاف قدم فوق سطح البحر .

وبعد قليل طلب كيلستون من ضابط الطائرة الأول ، شوجنيسى أن يتولى القيادة بدلا عنه ، لأنه كان يريد ان يتبادل الرأى معباتس ويتخذ اللازم لاخطار المسافرين بحقيقة الموقف .

وجلس قليلا يراقب شو جنيسى فى قيادته للطائرة ، وما أن اطمأن الى ذلك وأصدر اليه بعض التعليمات بشأن المحافظة على ارتفاع معين يضمن لهم عدم التعرض لقمم الجبال العالية ، حتى نهض عن مقعده بقامته المديدة واتجه الى مقصورة الملاحة حيثوجد باتس جالسا وقد تعلق نظره بمقياس السرعة ومؤشرات الارتفاع فقال له :

ـ اعتقد أننا سنصل الى مطار سانتا انا فى حوالى خمس وتسعين دقيقة أليس كذلك ؟ .

ـ تماما ياسيدى .

ـ واعتقد أن حركة الرياح هناك ستكون اقل حدة ، مما ييسر لنا سبل البحث عن الباخرة .

ـ أرجو ذلك ياسيدى .

ـ لقد غيرنا خط سيرنا وكان يجب علينا أن نفعل هذا . انهناك اخوانا لنا فى هذه السفينة التى تتلقفها امواج البحر الذى لايرحم ؟.

ولم يعقب باتس بشىء .

واستطرد كيلستون قائلا :

ـ ان الباخرة على بعد عشرين ميلا فقط من بونتاد لجادا وعلينا فى الوقت نفسه أن نتفادى الجبال . ولذلك فاننا نطير على ارتفاع ١٠٫٠٠٠ قدم ـ فاذا ماتجاوزنا قمة بيكو ، نسرع بالهبوط الى البحر .

ـ أن هذا سيؤخر وصولنا .

ـ وماذا يقلقك ؟

ـ لاشيء .. لاشيء .

ـ ارجو أن اسمع هذا من مقصورة الركاب ، لايوجد ما يدعو للقلق والانزعاج .

قال هذا وان كان فى قرارة نفسه لم يكن ينتظر منهم ذلك لأنه يعرف ان بعض المسافرين يتهيب السفر بالطائرات فى الظروف العادية ، فما بالك بهذه الظروف القاسية العصيبة التى يمرون بها . انها كفيلة بأن تجعل هذا البعض كلا !!.

ودلف الى مقصورة الركاب محاولا أن يحافظ على توازنه . ثم وقف يتفرس فى وجوههم صفا صفا . وحاول فى ايجاز أن يشرح لهم حقيقة الموقف وما يعتزم أن يقوم به . وأحاطهم علما بأمر السفينة التى تجتاز وقتا عصيبا دون أن يهتدى الى مكانها أحد . كما اخبرهم أن البحث عن مكان هذه السفينة ، سيقتضى منهم ساعة اخرى فى هذا الجو العاصف ، علاوة على ماتأخروا .

فسألته احدى السيدات :

ـ هل سيصادفنا نفس الجو السيء ياكابتن ؟.

فأجابها :

ـ بانه قد يكون أسوأ .. ثم أردف قائلا ، بعد أن شعر بجو من عدم الرضا بين الركاب :

ـ ما اظن الا انكم جميعا تريدون منا أن نبذل اقصى مافى وسعنا لمساعدة هذه السفينة ، أليس كذلك ؟.

وران الصمت على جميع المسافرين . ثم انبرى من بينهم رجل مدبب اللحية وكأنه وكل بالحديث نيابة عن جميع الحاضرين .

ـ بكل تأكيد يا كابتن ـ فلتفعلّ مابدآ لك . اننــا معــك قلبا وقالبــا .

أما مستر باركنسيون ، صاحب الشخصية المرموقة ، فلم يتفوه بشيء . وكان مغمض العينين ، متعبا مجهدا . بل وخيل لكيلستون انه لم يسمع شيئا مما قاله :

وعاد كليستون أدراجه. وكانت الرياح قداشتدت هبوبا وعصفا ووجد أن باتس يحــاول السيطرة على ماأمامه من آلات ومؤشرات دون جــدوى .

وبعد حوالى عشر دقائق . وبعد أن راجع كليستون ما أمامه من مؤشرات ، اتجه بعزيمة صادقة للهبوط متحديا قلب الاعصـار غير هياب لما كانت تهدر به الرياح محتجة ساخطة . واســتمر فى هبوطه حتى أصبح على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم من سطح البحر .فاعتدل بطائرته ، وبدأ يشعر ببعض الراحة بعد أن لاحظ أن جناحى الطائرة قد تخلصا من حملهما الثلجى ، بعد تخلل طبقات الجو الأكثر دفئا. ثم سمع شو جنيسى يسأله قائلا :

ـ الى أى مدى سنواصل الهبوط بعد ذلك ياسيدى ؟.

ـ حتى يقع بصرنا على شيء ما .

ومرة اخرى واصل كيلستون هبوطه حتى أصبح على ارتفاع الف قدم فقط . وبدات السحب تتمزق وتخفف من كثافتها . وما ان أصبح على ارتفاع ٦٠٠ قدم حتى رأى سطح البحر .

وتابعت الطائرة مسارها والبحر من تحتها والسحاب من فوقها ملاطمة الهواء ، بعزيمة قائدها . وكانت تهبط وترتفع فى وهــاد مطباته . حتى لتكاد أحيانا ان تلمس سطح الماء . واستطاع كليستون أخيرا أن يتبين طريقه ويستدير بطائرته فى اتجاه سان ميجويل قائلا لدرابر .

ـ حاول أن تتصل بالباخرة .

ـ ساحاول ذلك ياسيدى . ان الأحوال الجوية فى غاية السوء ولم تستطع القاطرتان الاتصال بها على الاطلاق .

ومرت بهم نصف ساعة ـ لم يروا فيها غير كسف من السحب وستار من الأمطار ، ولجة من الأمواج المتدافعة . وشعر كيلستون بالاجهاد وقد كلت يداه وهو يصارع بهما وجهات القيادة بها هذين العاصفة . واخيرا سمع صوت باتس يناديه قائلا :

ـ اننا نجتاز المنطقة الآن . . على بعد ثمانين درجة من سانتاانا.

ـ معلومات لابأس بها . واندفع كيلستون بطائرته فى خطوط متعرجة مستديرا بها أحيانا من دقيقة الى أخرى ، دورات كاملة . لعله يرى ما يدله على مكان السفينة الهائمة .

ـ الم تتمكن من الاتصال بعد بالسفينة يادرابر ؟.

ـ اننى أستطيع ان أسمع الاشارات الصادرة منها ضعيفة غير واضحة . يلوح لى أن جهاز الارسال بها ضعيف جدا .

وهنا صاح باتس قائلا :

ـ دورة أخرى ياكابتن .

فعلق هوكنز على هذا مذكرا قائده ؟

ـ لم يعد لدينا من الوقود ما يكفى لأكثر من ساعة او اقل .

ولم يبد على كيلستون انه بدأ يستوعب هذه المعلومات التى كانت تطرق اذنيه من كل ناحية . ولكنه مع ذلك كان يلتقطها ويقلبها فى ذهنه محاولا أن يربط بينها جميعا ، بينما كان يستدير بطـائرته الى اليسار بانحراف بلغ ربع دائرة عريضة .

وتساءل شوجنيسى :

ـ اعتقد انهم سيطلقون بعض السهام النارية .

فأجابه كيلستون :

ـ هذا مايجب أن يكون فعلا . لو تبقى لهم منها شيء .. وقد
لم صوته عما بدأ يعتمل فى صدره من برم وضيق .

وارتفع صوت درابر قائلا :

ـ اعدنا الاتصال بهم مرة اخـــرى . مؤشر الموجة انخفض الى اربعين درجة .

فطلب الكابتن من باتس تحديد موقع الباخرة على اســـاس هذه المعلومات . وأجابه هذا بأن الباخرة يجب أن تكون عـلى بعد ثمانية أميال ناحية الشمال الشرقى منهم .

ـ اذن فسأستدير بالطائرة فى هذا الاتجاه .

واندفع كيلستون فى اتجاهه الجديد لايلوى على شيء .. وقال وهو يحدق النظر فى البحر .

ـ يجب ان تكون فى مكان مامن هذه المنطقة ـ ولكنه كان يعلم فى الوقت نفسه ، أن الأمواج العالية يمكن أن تخفى بين طياتها مثل هذه الباخرة الصغيرة ـ وتجعل منها ألعوبة بين قمم زبدها الـذى يكسوها بياضا .

وواصل كيلستون بحثه ، ولم ينقطع عن الدوران ، يمينا ويسارا ، مقتربا من سطح البحر بقدر ماوسعه ذلك ، فى هذا الجو الممطـر العاصف المكفهر .. وفجأة ، وتحت مقدمة الطائرة مباشرة لمـح كيلستون ماأكد له أنها السفينة المنشـودة .. فقال لباتس :

ـ أبرق بموضعها لبرج المراقبة . وقل لهم اننا نحوم حـــول مكانها . واسألهم أن يحددوا لك مكان القاطرتين .

وظل يحوم بطائرته حول البقعة التى شاهد بها الباخرة محاولا الا تغيب عن مرمى بصره . وكان يرى سانتا لوشندا ، بين الفينة والأخرى ، ترتفع وتهبط كدمية صغيرة تتلقفها الأمواج ، وشـعر كيلستون بالمرارة لعدم استطاعته القيام بشيء أكثر من أن يـراقب هذه السفينة فى محنتها عن بعد دون أن يمد لها يدا تنتشلها مما هى فيه .

وسرى عنه أخيرا عندما أخبره درابر بأن مكان السفينة قد تحدد للقاطرتين . وأن برج المراقبة قرر بأن القاطرتين تبعدان عن مكان السفينة بحوالى عشرة أميال شمالا . وما أن انتهى درابر من سرد معلوماته هذه ، حتى قرر كيلستون أن يتجه شمالا بطائرته للتأكد من ذلك .

وبعد بضع دقائق ، استطاعت « ايزى زيرا » أن تحلق فوق القاطرتين . واتجه كيلستون بمقدم طائرته صوب مكان الباخرة سانتالوشندا ، مقتربا من القاطرتين بقدر ماوسعه ذلك ، وكرر هذه الحركة عدة مرات حتى اطمأن أخيرا الى تحرك القاطرتين صوب الهدف المنشود .

وكانت الدقائق تمر فى تقدير الزمن وكأنها الساعات الطوال . وبدأت طلائع الظلام تبدو من ثنايا العاصفة . وكان عليهم بعد هذا أن يطيروا الى سانتا انا حيث يهبطون فى مطارها . ولم يبد على كيلستون مايدل على قلقه أو انزعاجه ، وانطلق راضيا عن نفسه بعد ان القى نظرة اخيرة على الباخرة .

ولكن رضاءه لم يكن رضاء كاملا ، اذ انه كان يشعر فى قرارة نفسه بأنه لم يؤد الا نصف واجبه ، فقد كان بوده لو استطاع أن يبقى حتى يتم انقاذ الباخرة نهائيا او انقاذ من عليها من رجال على الأقل .

ولما اصبح على مشارف المطار ، تلقى من برج المراقبة مايحدد له اتجاه الرياح وامكان الرؤية وممر الهبوط . ولاحظ الضابط الأول تجهم وجه قائده لأول مرة . الا أنه لم يسمع منه شيئا . تفسيرا لهذا التجهم .

وركز كيلستون كل تفكيره فى التحكم فيما بين يديه وامامه من آلات ، وتبادل مع شوجنيسى بعض ملاحظات الهبوط . واتجه بطائرته نحو الممر المحدد له . وفى حنكة المجرب الواثق من نفسه ، تمكن اخيرا من الهبوط سالما « بايزى زيرا » ، واستقر بها على ارض المطار

بين اعجاب كل العاملين معه ، هذا الاعجاب الذى عبر عنه هوكنــز مشيدا بثبات قائدهم وجرأته . وأجابه كيلستون ردا على هذا ،أن يقوم بما يلزم من فحص للطائرة كما يجـــرى العمل بذلك وتركــه منصرفــا .

***

كان مستر دادلى ، مدير مكتب خطوط الامبراطورية البريطانية بمطار سانتا انا ، لاعبا ممتازا من لاعبى الشطرنج فى بونتا دلجادا ، حتى انه انتخب رئيسا لنادى الشطرنج بها فى شــهر يوليو من ذاك العام . وتغلغلت هذه الهواية فى نفسه ، حتى أصبح يرى فى الحياة وفى النـــاس مجرد رقعة للشطرنج يتحركون عليها . وكان منوطا به ، بحكم عمله ، مراقبة الخدمة فى أربعة من خطوط الشركة كل أسبوع ، فى ذهابها وايابها ، بواقع خطين فى كل اتجاه من والى انجلترا . وكان على هذه الطائرات أن تتوقف بجزر الآزور لمدة ١٤ ساعة ، حيث ينال ركابها وملاحوها قسطهم من الراحة فى فندقى كاسل وكاريراس على التوالى .

وكان مستر دادلى برما بهذه المحطة الليلةغير راض عنها . ولذلك كان يسعى للتخلص من هذه المأمورية بأسرع ما يمكن . فما ان اقبلت الطائرة « ايزى زيرا » وهبط منها ركابها ، حتى وجد نفســه أمام احدى تلك المضايقات التى كان يسعى جاهدا ان يتحاشاها ويتخلص منها . حيث أقبل عليه مستر باركنسون الذى كان يعرف شخصيته خير المعرفة ساخطا متذمرا مرددا :

ــ لاراحة . . ولا أمان . . ولا عناية .

وفى لباقة تخلص دادلى من الاجابة وهو يومىء الى ناحيـــة كيلستون قائلا :

ــ سأطلب من قائد الطائرة أن يشرح لك الأمر .

ولكن كيلستون بادر دادلى مستفسرا :

ـ هل تمكنت القاطرتان من الاهتداء اليها .

ـ لم نتلق أى نبأ بعد بهذا الشأن .. ولكن هناك أمرا آخر يستدعى اهتمامك . مستر باركستون متذمر . متذمر ساخط ياكابتن .

ـ لعله متعب ـ بعد أن ينال قسطه من الراحة سيشعر بتحسن فى الصباح .

ـ لعل كلمة منك ...

فاتجه كيلستون ناحية باركستون . عندما لاحظ أن الرجل قد فقد أعصابه من شدة ماعاناه ، وقال له :

ـ يؤسفنى ماتعرضت له فى رحلتك ياسيدى .

ولكن الرجل لم يكن مستعدا أن يهدأ . بل اشتد هياجا وهو يتهدد كيلستون بالويل والثبور ، ويصارحه بأنه لايصلح طيارا ـ وتأمله كيلستون محنقا . ولاحظ أن الرجل الذى كان قد تطوع بالرد عليه عندما أحاطهم علما وهم فى الطائرة بموضوع سانتا لوشندا ، يومىء اليه أن يقترب منه .. فلما صار على مقربة منه ، سمعه يهمس فى أذنه قائلا :

ـ لاعليك .. سأحاول أن أهدىء روعه .

ـ شكرا .

ـ انهم لايستطيعون ان يفهموا ماقمت به . أما أنا فأقدر عملك خير تقدير ، لاننى ضابط بحرى .

ـ من العسير عليهم أن يفهموا ذلك فعلا .

- ٣ -

اتجه كيلستون الى الدهليز الطويل بالطابق الأول لفندق كاريراس ، يتبعه احد الخدم حاملا حقيبة ملابسه . وما ان بلغ باب حجرته فى الطرف الاخر منه ـ حتى دفعه متعجلا أن يلوذ بهدوء كان يتوق اليه بعد كل ماعاناه من جهد وعاش فيه من صخب وقلق .

وكان كيلستون متعباً مجهداً وبدأ يحس بالألم في ذراعيه ؛ بعد كل مابذله من جهد للتحكم في عصى القيادة في صراعه مع العاصفة الهوجاء . فجلس على حافة فراشه يخلع ملابسه على مهل بينما كان مستغرقا بفكره في سانتا لوشندا . هل كان بوسعه أن يقوم بأكثر مما قام به لاغاثتها ؟ اذ أنه لم يزايل فكره خاطر انه لم يستطع ان ينتظر حتى يطمئن على مصيرها .

وراح يستعرض ماكان بوسعه أن يفعله مع نقص كمية الوقود التي كانت بالطائرة . ثم عاد ليراجع نفسه بأنه كان يستطيع أن يتريث بضع دقائق أخرى . وضاعف هدير الرياح الذي كان يصل الى سمعه من الخارج ، من قسوته في محاسبة نفسه ، ومن شعوره بأنه بينما كان يجلس آمنا في دعة ، كان هناك من الرجال من يقاسي من هول العاصفة وتتعرض حياته للخطر .

ونهض الى الماء الساخن يسترخي فيه . ويخلي بينه وبين افكاره المتزاحمة . وبعد أن اغتسل وأزال مابه من وعثاء السفر ، استعاد نشاطه وارتدى ملابس النوم ليهجع ساعتين قبل أن تحل ساعة العشاء .. وما ان استلقى على فراشه حتى استغرق في النوم واستسلم لسبات عميق .

ولم يستيقظ من نومه الا بعد الساعة العاشرة . وما ان تأمل ساعته حتى أدرك أنه قد تجاوز الموعد المحدد للعشاء . فنهض ساخطا وارتدى حلة رمادية اللون ، ثم هبط الدرج ليجد قاعة الطعام قد اغلقت ابوابها . ووجد باتس في « البار » يتناول كأسا من الخمر فلما رحب به ودعاه الى مشاركته الشراب ، اعتذر له بأنه لم يتناول عشاءه بعد .

وكان على وشك أن يستفسر من باتس عن آخر أنباء الباخرة ، عندما أقبل رئيس الخدم قائلا :

- كابتن كيلستون . لم نرك في ساعة العشاء ؟ .

- نعم ..

فأشار الرجل الى قاعة الطعام ، سائلا اياه أن يتبعه . فاعتذر له كيلستون قائلا :

ـ لاتشغل نفسك بأمرى ، لأننى تخلفت فعلا عن حضور العشاء والقصر لايلومن الا نفسه .

ـ لاضير من ذلك .. لابأس ، هلا تبعتنى ؟.

وتقدم رئيس الخدم الكابتن كيلستون الى قاعة الطعام وفتح له ما أغلق من أبواب ، ووجد كيلستون نفسه جالسا الى مائدة أعدت له . وتلفت حواليه فلم يجد أحدا غيره بقاعة الطعام . ولما كان لم يألف من قبل مثل هذه المعاملة الممتازة ، بدأ يتساءل عن السر فى ذلك .

وقام رئيس الخدم على خدمته بنفسه يساعده فى هذا اثنان آخران . وحملوا اليه مع الوان الطعام المختلفة . زجاجة من شراب ماديرا « مع تحيات الادارة » ، وضاعف ذلك من عجبه ودهشته . وبينما كان يتساءل فيما بينه وبين نفسه عن السر فى كل تلك المظاهر سمع رئيس الخدم يقول له .

ـ لقد اتصل بنا مستر اوليفاريز تليفونيا ، وسأل عنك .

ـ اوليفاريز !. ومن يكون ؟.

ـ صاحب السفينة . اوليفاريز هو مالك سانتالوسندا

ـ هل لديك أنباء عنها ؟.

ـ بكل تأكيد . لقد اهتدت اليها القاطرتان .

فأحس كيلستون براحة نفسية طاغية . وسمع رئيس الخدم يستطرد قائلا :

ـ ان لى أخا على ظهر السفينة .. اخى الاصغر بدرو وهذا مشيرا الى أحد الخدم ، له ابن عم على ظهرها .

ـ انها أسرة كاملة .

ـ نحن البرتغاليين كثيرو العدد . آن كلا منا هنا فى بونتا دلجادا له قريب على ظهر سانتا لوشندا .

ورفع كيلستون كأسه ليشغل نفسه عن العيون التى تحدق فيه باعجاب . ثم قال أخيرا :

ـ شكرا لأنكم هيأتم لى تناول طعام عشائى متأخرا . الحلوى يا سيدى ، قليل من الفاكهة ، شكرا .. كلا . سأتناول قدحا من القهوة فى الردهة .

هل ستتصل تليفونيا بمستر أوليفاريز ؟.

ـ أجل .. ونهض عن مقعده منصرفا بين تحيات الخدم الذين انحنوا اليه تقديرا وشكرا .

وقوبل عند مكتب الاستقبال بنفس ما قوبل به من اهتمام وعناية . وأصر الموظف المختص على أن يهيىء له سبيل الاتصال بمستر أوليفاريز . وبعد أن تم الاتصال ، قدم الموظف التليفون لمستر كيلستون الذى سمع صوتا يحييه قائلا :

انا ندين لك بالكثير يا كابتن . لعلك سمعت بأنها فى طريقها الى الشاطىء ؟.

ـ نعم سمعت بذلك ؟.

ـ كنت أتساءل عما اذا كان من الممكن أن تحضر لتشاهد دخولها الميناء .

ـ بكل سرور . متى سيكون ذلك ؟.

ـ هذا راجع الى حالة الطقس . ان رجال الارصاد .

ثم اندفع أوليفاريز يتحدث باللغة البرتغالية فى لهجة تنم عن العنف ، وعاد مستطردا بالانجليزية على كل حال ، فهم يظنون أن مركز العاصفة سيكون فوق الجزيرة بعد ساعة . مما يعنى انهم قد يستطيعون أن يدخلوا بها الى الميناء فى فترة هدوء العاصفة المؤقت .. والا .

ـ والا ، فانهم سينتظرون حتى تهدأ العاصفة نهائيا .

ـ كلا يا كابتن . انهم ان لم يتيسر لهم ذلك ، فلن يتيسر لهم أبدا . . لقد وصلت اشارة بذلك .

ـ بمعنى أنها لن تستطيع ان تصمد للمرحلة الثانية .

ـ هذا هو الواقع .

ـ اني قادم اليك .

ـ لشد ما أتوق لهذا اللقاء . ان مكتبي بالرصيف « ١ » .

وبعد أن احتسى كيلستون قهوته ، ارتدى معطفة وانطلق في طريقه الى الميناء . ولاحظ وهـو في طريقه . أن حدة الرياح قد بدأت تخف ، وأن النجوم بدأت تلوح من بين قطع السحاب . فهدأ نفسا وازداد اطمئنانا على مصير الباخرة الصغيرة .

وعندما وصل الى باب الميناء لاحظ ازدحام القوم ، كل يريد أن يطمئن على عودة سانتا لوشندا سالمة . ولما اعترض رجال الشرطة سبيله . أخبرهم بأنه قادم بناء على دعوة مستر أوليفاريز له .

ولاح له أنهم لم يقتنعوا بذلك . وبينما كان يحاول التفاهم معهم بلغتهم البرتغالية بقدر ما وسعه هذا ، سمع صوتا يقول بالانجليزية
أو يكون القادم كابتن كيلستون ؟ ـ والتفت الطيار الى مصدر الصوت ليرى رجلا يرتدى معطفا أبيض يقف بجانبه . فأجابه :

ـ أجل . . كيلستون .

ـ اني جد آسف يا كابتن ـ لقد كنت بمحطة اللاسلكي ـ لم أتوقع قدومك بمثل هذه السرعة .

ـ لقد تحسن الجو ـ تحسن فعلا .

ـ نرجو هـــذا .

ثم تبادل الرجل الحديث مع رجال الشرطة الذين أسرعوا بفتح الباب له . وما أن شقا طريقهما في الزحام عبر الاسوار . حتى قدم أوليفاريز نفسه لكيلستون وأردف قائلا :

ـ انني الرجل المدين لك بالكثير وشد على يده مؤكدا امتنانه وعرفانه بالجميل . فأجابه كيلستون :

ـ لقد قامت القاطرتان بكل مايلزم . واعتقد أنهما كانتا في طريقهما اليها .

ـ لا اظن ذلك .. لم يكن بوسعهما الاهتداء الى مكانها دون معاونتك وبدا من نبرات صوته أنه مصر على ارجاع الفضل كله الى كيلستون فقال له هذا :

ـ مهما يكن من امر هذا الفضل . فيسرنا جميعا أنه أمكن الاهتداء اليها . كم تبعد الباخرة عن الشاطيء الآن ؟ .

ـ ما يقرب من الميلين ، بسرعة اربع عقد .

ـ يطيب لي ان اسمع ذلك . اظن أنها ستصل في الوقت المناسب قبل انسحاب مركز العاصفة وبداية وجهها الثاني .

ولم يعقب الرجل بشيء . وكأنه كان يخشى أن يبدى رايه أو يؤكد شيئا ، فيثير العاصفة من جديد قبل الأوان .

وتابعا سيرهما حتى اقتربا من المبنى الوحيد الذى تتلألأ انواره على رصيف الميناء ولاحظ كيلستون وجود عدد من النساء وآخر من الرجال الذين رفعوا قبعاتهم ملوحين بها لأوليفاريز وسمع كيلستون الرجل يقول في عصبية ظاهرة .

تلك هي اسرهم . اسر الرجال الذين شاءلهم حظهم أن يكونوا على ظهر هذه السفينة . هذا الانتظار هو أدق المراحل جميعا .. وهم لن يهدءوا الا اذا رأوا سانتا لوشندا تدخل الى الميناء وتستقر الى جانب هذا الرصيف .

ثم تأبط كيلستون واتجه به الى مكتبه قائلا :

ـ ان كارينا ستعد لهما قدحا من القهوة .

وعندما تمهلا عند باب الحجرة الداخلية . وقع نظر كيلستون على فتاة ترتدى معطفا أخضر تقف فى الطرف الآخر منها وكانت تعد القهوة فعلا .. وقالت دون أن تلتفت اليهما :

ـ كارلوس ، ان الطقس شديد البرودة فى الخارج ، وهأنذا أعد لهم أقداح القهوة . ان أمامهم نصف ساعة أخرى على الأقل قبل أن يشاهدوا أضواءها .

ـ ألم يتصل بك أحد ؟ أما من رسالة لى ؟ .

ـ كلا ؟ .

ـ كارينا ، هذا هو الكابتن كيلستون .

فاستدارت الفتاة ، ليرى كيلستون ، أمامه وجها بيضاويا يعلوه شعر أسود فاحم تبدو صاحبته فى الثامنة والعشرين أو أقل قليلا ؛ ببشرة غضة ناعمة الملمس تتفجر صحة ، أبعد ما تكون عما يبدو فى عينيها الرماديتين من عمق وتجربة . وتقدمت نحوه ومدت له يدها فى استيحاء قائلة :

ـ وأنا بدورى أود ان أشكرك .

وكانت تنطق الانجليزية بلهجة سليمة حريصة على مخـارج الفاظها فى تحفظ شديد . ثم قدمت له قدحا من القهوة ولأوليفاريز قدحا آخر . وسمعه كيلستون يقول :

ـ لعلك ترى كم تعنى بأمرى . انها أغلى قدرا عندى من سفنى ، كما أنها لاتسبب لى شيئا من القلق كما تسببه هذه السفن لى .
فعلقت على هذا قائلة :

ـ وذلك لأننى لا اخرج الى البحر .

فقال اوليفاريز :

ـ ان السكرتيرة لا تترك مكتبها .

وما ان سمعت هذا منه حتى التفتت الى كيلستون قائلة :



ـ ولكنه وعدنى باننى أستطيع الخروج الى البحر فى يوم من الأيام . فلمن الرجل على قولها هذا .

واحتسى كل من الرجلين قدح القهوة . واستعدت كارينا لتخرج الى الرجال بأقداحهم . وعرض عليها كيلستون أن يعاونها فى حمل الأقداح . وتبعها الى الدهليز واستطاع أن يتبين على الضوء النافذ من مصباح الغرفة رشاقة قوامها وجمال شعرها .

وما ان نفذت من الباب الى الخارج . حتى أعلنت للمجتمعين انها قد حملت اليهم أقداح القهوة وسألتهم عن آخر الانباء .

وقام كيلستون بصب القهوة فى الأقداح .. وكانت بدورها تناول كلا قدحه مبتسمةمشجعة لهم. ورأىكيلستون انهكالدخيل بين افراد اسرة واحدة ، فانسحب الى الداخل حيث وجد أوليفاريز واقفا يتأمل الحشد من النافذة .. وسمعه يقولُ له :

ـ كان من الواجب أن أكون مع كارينا لأسرى عنهم . ومع ذلك فقد تكون خيرا منى فى ذلك .. وهم يعرفون انها منى فى منزلة الابنة .

ـ اهى برتغالية ؟.

ـ أوه كلا .. تشيكية .. لقد قاست كثيرا فى حياتها .

ـ انها رائعة الحسن .

ـ اجل .. قالها أوليفاريز فى اقتضاب فهم منه كيلستون أن الرجل لا يرغب فى التحدث عنها بأكثر من ذلك .

وران الصمت على الرجلين وخيم السكون فى الخارج ، ومرت الدقائق فى تثاقل ضاعفت منه لهفة أوليفاريز وتأمله ساعته من دقيقة لأخرى .

وفى هذا الجو المقبض من الانتظار والترقب ، علا صوت صفير نقلته الرياح من بعيد ، اعقبتـه صيحة فرح طاغية رددت

صداها جبال الخليج ، واهتزت جنبات الوادى بتهليل الحشد المجتمع لانتظار أقرانهم أخيرا على الاعصار القاسي العنيف .

واندفع الرجلان الى الخارج ، ليريا سانتا لوشندا فى ضوء الأنوار المسلطة عليها فى طريقها الى الميناء ، تتهادى خلف القاطرتين وطوقت كارينا بذراعيها أوليفاريز مهللة كارلوس . انهم بخير ، ثم استدارت الى كيلستون مبتسمة .

ـ لقد عادوا ـ سالمين الى بيوتهم .

ـ هل تعرفين جميع الرجال على ظهر الباخرة ؟ .

ـ أجل .. فردا فردا .

ووقفا جنب الى جنب ، بينما شغل أوليفاريز بالحديث مع اسر العائدين راضيا مسرورا . والقى رجال الميناء بالحبال الى رجال السفينة . وقال كيلستون وهو يتأملها :

ـ انها لم تصب بأضرار كثيرة .

ولم تعقب الفتاة بشيء والتزمت جانب الصمت . ولاحظ أن الدموع تفيض من عينيها . فأشاح بوجهه عنها . حتى لا تلتقى عيناه بعينيها .. الا انهما التقيا فى نظرة عابرة . واطرق برأسه يحدق النظر فيما بين قدميه . وادرك أنه يجمل به أن يشعرها بمشاركته لها فى أحساسها ، فتلمس يدها فى الظلام يمسك بها ، فوجدها باردة كالثلج .

وفضل لا ينطق بشيء . واكتفى بتلك اللمسة تفهم هى منها كل شيء . وعادت الرياح تهب عاصفة قوية ، والأمطار تتساقط مدرارا منذرة باستئناف العاصفة لنشاطها .. ووقفا يدا فى يد يراقبان سانتا لوشندا وهى تقترب من رصيف الميناء .

* * *

وكأن الاعصار قد ساءه أن تفلت سانتا لوشندا من بين براثنه فاندفعت رياحه هادرة عاتية فوق الجزيرة . ونفذت لفحة منها من أحد أبواب حظيرة الطائرات في مطار سانتا انا ، ودفعت أمامها سلما معدنيا دق مؤخرة الطائرة « ايزى زيرا » وأحدث بدفتها عطبا .

وكانت هذه المرحلة هى آخر مراحل الاعصار وأشدها قوة ، اهتزت لها خرائط الاحصاء فى كثير من أنحاء العالم . وما ان وافت الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى حتى كانت مؤخرته قد تركت جزر الآزور ، وعادت الحياة الطبيعية الى سان ميجويل .

واتجه الاعصار فيليسيتى مسرعا نحو خليج بسكاى . ثم بدا يدب اليه الوهن بعد ذلك . وأذاعت نشرة أخبار الساعة الواحدة من محطة الاذاعة البريطانية ، أن الاعصار بدأ يغطى الجزر البريطانية مبتدئا بأيرلندا .

وبالرغم من أن الاعصار كان بعيدا عن مركزه الا أن الرياح كانت تعصف بشدة خافقة فى نوافذ غرفة مكتب مستر فيتيش ، مدير خط وسط الاطلنطى للشركة ، الذى كان يراجع برقية من مطار سانتا انا طلب دفة جديدة للطائرة « ايزى زيرا » .

وفى الطرف الآخر من مطار لندن الجوى ، بالممر رقم ١٠ كانت الطائرة « ايزى دوج » فى طريقها الى الانطلاق بقيادة الكابتن بيتر فيريس ، حاملة على متنها الدفة الجديدة للطائرة « ايزى زيرا »

واشتد هبوب الرياح جنوبى لندن ، حيث كانت فيرونيكا كيلستون فى طريقها لزيارة بعض الأصدقاء ، وعصف الهواء بخصلات شعرها وأفسد زينتها . وما ان فتحت لها الباب صاحبة المنزل حتى بادرتها فيرونيكا شاكية مما فعلته الرياح بها وبشعرها .

وبلغت الرياح فى عصفها تشارفيلد بعد ظهر هـذا اليوم ؛
وعصفت بأزهار الكريزانتوم فى حديقة الكابتن ميشيل ليمنج ؛
الذى أسرع اليها يحاول صيانتها بجدار من الحشائش ليحميها ؛
لأنه كان يعدها ليتقدم بها الى احد المعارض . وقد كان فخورا بها
معتزا بروعة جمالها .

« الشاى ، يا عزيزى » .. بهذا نادته زوجته بصوت أقرب
ما يكون غناء « فى حجرة الاستقبال كالعادة » .

وكانت ترتدى ثوبا أزرق يناسب جمالها ويضاعف من روعة
حسنها .

الجزء الثانى

منتصف الربع
الجنوبى والشرقى
١٦ أكتوبر ــ ١٩ أكتوبر

ــ ١ ــ

كانت ساعة الشاى عند ميلانى ليمنج ، هى أحلى ساعات النهار التى تنعم فيها مع زوجها ومع أطفالها بما تعده لهم من فطائر، بينما تتأمل الحديقة بأزهارها الجميلة قبل أن يخفيها الظلام عن العيون .

وفى حجرة الاستقبال ، جلس ميشيل ليمنج ينعم بالهدوء وبالدفء بعد أن ترك جو الحديقة العاصف . وقال لزوجته وهو يمد يده بقدحه يطلب مزيدا من الشاى :

ــ ان المرء ليشعر هنا بالدعة وبالأمان . وكم يطيب لى أن اطمئن نفسى بأن اجازتى لم تنته بعد .

ولم تكن ميلانى لتسعد بتلك الساعة من النهار ، الا فى أيام راحة زوجها وأجازاته الشهرية ــ أما اذا كان فى الخدمة ، فلم يكن تناول الشاى ليعنيها فى كثير أو فى قليل . وارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة سعيدة كشف عن هنائها وزادت من جمالها .

وسألها أن تناوله صحيفة المساء ليطلع على آخر الانباء بينما تقوم هى برفع بقايا الطعام . وبعد قليل ناداها قائلا :

ـ ميلانى . . بعض الانباء عن مارك كيلستون .

وبعد فترة صمت قليلة ، سمعها تسأله من ناحية المطبخ :

ـ أهو بخير ؟.

وكانت فى صوتها رنة قلق أدرك منها ما يتبادر الى ذهنها عندما تسمع أو تقرأ شيئا فى الصحف عن الطيارين . فأسرع يجيبها :

ـ بكل تأكيد . لقد جعل من نفسه بطلا يشار اليه بالبنان ، لانقاذه باخرة عند جزر الآزور .

ـ انها لأنباء مثيرة فعلا !.

ـ لقد كانت باخرة صغيرة . تعالى واقرئى بنفسك فجاءت بعد أن فرغت مما فى يـدها ، وجلست لتقرأ الفقـرة التى عينها لها زوجها . وبعد أن انتهت من الاطلاع على النبأ قالت :

ـ يالها من مغامرة ! ياله من عمل مجيد !.

ولكن ليمنج لم يكن متحمسا الى هذا الحد . فها هو ذا كيلستون، كما كان دائما ، يعلو بقـامته على غيره من أقرانه ، فتسلط عليه الأضواء ويحجب نورها عنهم . فقال معقبا :

ـ لست أرى فيما قام به ما يستحق كل هذه الضجه . لقـد جرت كل هذه الأحداث بالقرب من سانتا أنا . .

ـ ستسعد زوجته فيرونيكا بقراءة هذا النبأ .

ـ وهى نفس الأنباء التى تدخل السرور الى قلبه فعلا .

ـ يا للمسكينة . .

ـ ولمـاذا ؟ . انك لا تميلين اليها ؟ .

ـ نعم . ولعل هذا هو السبب فى رثائى لحالها ـ اننى اشعر بعقدة الذنب حيال من لا أميل اليهم من الناس فأكثر من الاشفاق عليهم !.

ـ انك تبددين شفقتك .

ـ ليست شفقة فقط . انه عطف ايضا .

ـ انهما من طراز واحد .

ـ ما الذى حدا بمارك أن يتزوج منها ؟.

ـ لا تسألينى عن ذلك .. ان الناس يتقابلون ثم يألفون هذا اللقاء ويعتادون عليه . واخيرا يرون أنه من الخير لهم ان يصبح هذا اللقاء أبديا .

ـ انهما لا ينعمان بالسعادة كما ننعم نحن .

فابتسم وهو يقول لها :

ـ حقا ما تقولين . ولكن هذا لا يعنى أنهما غير سعيدين ؟.

ـ انه يبالغ فى ملاطفتها . الا انه لا يوجد بينهما هذا الغرام المشتعل ؟.

وتناول ميشيل الصحيفة من زوجته وهو يقول :

ـ مهما يكن من أمر ، دعينا من التحدث فى هذا الشأن . وبالذات فى ساعة تناول الشاى العزيزة علينا ، والتى لم يبق لنا من مثيلاتها الكثير .

ـ أجل .. قالتها ميلانى مطرقة برأسها وقد هدأت فجأة .

ـ ان أيام العطلة تمضى سراعا . دعينا نرى كم تبقى منها ؟.

ـ خمسة ايام ..

ـ خمسة أيام فقط ؟. حسبتها أكثر من ذلك . هل اعددت لى كل شىء ؟ الحلة الرسمية والقمصان ؟.

ـ كل شىء معد لك .

واطرقت شاردة الفكر . فقال لها :

ـ ماذا بك ؟.

ـ لا شيء .. احيانا .. لاشيء ..

ـ افصحي بربك يا ميلاني . ماذا بك ؟.

ـ هذه العطلة ما كادت تبـــدأ حتى انتهت .. وأطرقت وقد اغرورقت عيناها بالدموع .

ـ أو هذا كل ما يشغلك ؟.

وسرى عنه أن يدرك ان هـــذا هو كل ما يشـغل بال زوجته ويشقيها . ولـكن ماذا بوسعه أن يفعل ؟. ان مهنته تتطلب منـه غيابه عنها ، وهي تحبه حبا لا تطيق معه غيابه عنها . وهذا الحب كان أساس زواجهما وأصبح قوام حيـــاتهما كلها . ولم يدرك أن ما قاله أساءها الا بعـــد أن رآها وقد اتقدت عيناها شررا وهي تقول له :

ـ أجل .. هذا كل ما في الأمر .

ونهضت تقف في مواجهته ، محدقة بعينيها في عينيه .

ـ تعالي يا ميلاني ، لا تبالغي هكذا في تصوير الأمور .

ومد يده محاولا أن يأخذ بيدها بين يديه . فجذبت يدها وهي تقول له :

ـ ان ما قلته يدل بجلاء على مدى فهمك لشعوري .

ـ ميلاني .. انك تحملين الألفاظ أكثر من معانيها ، وانك لتعرفين كم أحبك .

ـ تحبني !. انك تحب البيت في مجموعه . تحب هذا البيت الذي هو بمثابة الميناء لك . تعود اليه وتستريح فيه . وتجد فيه كل شيء معدا لك حسبما تشتهي . ثم تنطلق مرة أخرى . انك تقضي ثلثي أيام حياتنا بعيدا عنا .

وساءه أن يسمع ذلك منها . انه أبعد ما يكون عن العقل والادراك الصحيح .

ـ ان مهنتي تقتضي مني هذا كما قلت لك مرارا . وبفضلها تعيشين في دعة ورغد من العيش .

ــ ان هذا البيت يصبح كالمقبرة بعد ان ترحل عنه . ان ايام الأسبوع تطول وتطول عندما تكون بعيدا عنا . وتقصر ثم تقصر حتى لا نكاد نشعر بها وانت بيننا . انك لا تفهم ذلك .

وأجهشت باكية وحاول أن يسرى عنها . فاستطردت منتحبة :

ــ ان كارثة طيران جبل طارق لا تبارح مخيلتى .

ــ ميلانى .. انك تبالغين . لقد مضى عامان منذ وقوع تلك الكارثة . والأمور تسير بعدها على ما يرام .

ــ ان حبى لك هو الذى يجسم فى عينى الأمور .

ــ لست أراه حبا مجردا . انه حب التملك .

ووقف كل منهما يحدق النظر فى الآخر فترة قطعتها عليهما دقات الساعة الكبيرة معلنة تمام السابعة مساء . فاستدارت منصرفة وهى تقول :

ــ حلت ساعة ذهاب الأطفال الى فراشهم .

ووقف ميشيل ليمنج مشدوها محنقا ، فقد كان من النادر أن يتشاجرا . وامضيا السهرة كل منهما فيما شغل نفسه به ، ميلانى بالمطبخ تعد بعض الفطائر ، وميشيل يقرأ فى غرفة الجلوس ، وعندما دنت ساعة النوم حيا كل منهما الآخر تحية المساء فى برود . دون أن يتبادلا كلمة واحدة بعد ذلك .

وساد التوتر جو المنزل فى اليوم التالى . وحاول ميشيل أكثر من مرة ان يلطف من حدة هذا التوتر دون جدوى . فكان يتقرب اليها وكانت تصده فى دلال الغضب ..

وفى الساعة الثامنة من اليوم التالى لثورة الأعصار العارمة ــ وهو نفس اليوم لثورة آل ليمنج العاصفة على بعد ألف ميل منها ــ كان رئيس المكتب فى مطار سانتا انا يخطو خطوته الأولى مع كيلستون حين طلب تليفونيا تقريرا مفصلا عما لحق بالطائرة ايزى زيرا من أضرار ثم راح ينتظر الايضاح المطلوب .

وقرر دادلى ، فيما بينه وبين نفسه ، فى حالة ما اذا كان رد الطيار ردا غير محرج ان يعتبر الموضوع منتهيا . أما اذا كان رد

كيلستون معقدا للامور . فهو مضطر أن يدافع عن نفسه بكلّ ما لديه من لوائح وتعليمات بحيث لا يترك له مجالا لمهاجمته .

سأله كيلستون :

ـ هل تأكدت من أن باب الحظيرة الذى نفذت منه لفحة الهواء كان محكم الاغلاق قبل ذهابك الى منزلك ؟.

ـ هذا من اختصاص المهندس يا كابتن . والجميع يؤكدون أن الباب كان مغلقا بعد انتهائهم من عملهم .

ـ اذن ، فمن يكون المسئول عن ذلك ؟.

ـ لست ادرى . . هذا ما كان فعلا .

ـ ألا تشك فى أحد ؟.

ـ كلا . ان العاملين معى فوق مستوى الشكوك ؟.

ـ هذا ما كنت أظنه فعلا .

ـ ولم لا يكون المسـئول عن ذلك أحد عمـال المطار من البرتغاليين ؟.

ـ قد يبدو هذا صحيحا .

واطمأن دادلى الى هـذا الرد ، ورأى كيلستون (الذى كان يخشاه) يلتزم جانب المنطق المعقول فى تكييفه لأسباب الحادث . فقال معقبا :

ـ لم يكن ينقصنا الا هذا العطب ـ لقد أخطرت لندن لتبعث الينا بالفيار الجديد . وهذا يؤخر رحيلكم مدة يومين على الأقل . ومع ذلك . . فلابد مما ليس منه بد .

لست من رأيك . ان فيما حدث أكبر دليل على عدم الكفاية الادارية .

وفوجىء دادلى بما سمعه فقال ممتعضا :

ـ ليس هذا من شأنى يا كابتن كيلستون . انا غير مسئول عن تقلبات الجو ولا سيطرة لى عليه .

ـ ولكنك مسئول عمن يعمل معك . وكان من المفـــروض أن تعرف حقيقة كل من يعمل فى المطار ومدى استعدادهم وكفايتهم . كما كان لزاما عليك أن تعين من يقوم بحراسة الطائرة .

ـ هذا القول من السهل ترديده بعد وقوع الحادث .

ـ بل انه التصرف المعقول .

ـ سأقدم تقريرا بذلك .

ـ وأنا بدورى سأقدم هذا التقرير . انك مسئول عن ســلامة طائرتى مادامت فى المطار .

ـ لست من رأيك يا كابتن .

ـ لم اكن أنتظر منك أن توافقنى على رأيى .

ثم قطع كيلستون المكالمة التليفونية ، تاركا دادلى مرتبكا فى حيرة من أمره .

وأخبر كيلستون معاونيه بما جرى بينه وبين دادلى اثناء تناولهم طعام الفطور وعلق باتس على ذلك قائلا :

ـ يا الهى .. أو .. يومان آخران فى هذا الميناء ؟ ! .

وبعد ان انتهى كيلستون من تناول طعام افطاره ،عاد الى غرفته ليعد تقريره الذى بعث به فيما بعد لمستر فيتش فى لندن . وترك للأخير تحديد المسئولية بعد أن بين له الوقائع تفصـــــيلا . وتلك الوقائع لا محالة تشير بأصابعها الى مستر دادلى .

وما ان فرغ من تحرير تقريره ، حتى غادر غرفته الى الشرفة بالدور الأرضى ، حيث أمضى ساعة فى القراءة وفى التمتع بمنظر الخليج من آن لآخر . وفى الحق أن ذهنه كان شاردا يفـــكر فى كارينا وفيما سمعه من أوليفاريز عنها وعن حياتها التعسة . وكان وجهها بعينيها يغطى ما أمامه من صفحات . واستعاد حديثها عـلى أسر الغائبين ، وشعر بلمسة يدها الباردة فى يده .

وما أن وافت الساعة العاشرة صباحا ، حتى اتصل به دادلى تليفونيا ، وقال له فى لهجة رقيقة أن لندن اتصلت به لتخطره بأن

« الدفة » الجديدة فى طريقها اليهم . كما اخبره بانه أمر بوضع سيارة ركاب تحت أمر المسافرين لتجوب بهم الجزيرة فى فترة انتظارهم .

وخرج كيلستون فى أشعة الشمس لينعم بصفاء الجو بعد كل ما عاناه من اكفهراره وعواصفه ، وراح يمتع ناظريه بزرقة البحر وخضرة منحدرات الجبال . واتخذ سبيله عبر المدينة الى فندق كاسل حيث كان يقيم المسافرون . ووجد معظمهم يجلس فى بهو الفندق ، فحاول ان يشرح لهم حقيقة الموقف ويحيطهم علما بكل ما أعد لهم . وأصدر أمره قبل انصرافه لادارة الفندق بأن الشركة تتحمل جميع نفقاتهم ، وتركهم راضين مسرورين ولم يكن مستر باركنسون بين الحاضرين ، فتطوع الضابط البحرى مشكورا بنقل آخر الانباء اليه .

وانطلق بعد ذلك فى طريقه الى الميناء ، وهو جد مشوق ان يقع نظره على كارينا مرة أخرى . الا أنه قد خاب فأله عندما لم يسعده الحظ بلقائها . واستقبله اوليفاريز مرحبا ـ وان كان ترحيبه أقل حرارة من قبل . وسرد كيلستون على مسامعه ما كان من امر العطب الذى أصاب مؤخرة الطائرة،ثم استفسر منه عن مدى مالحق سانتا لوشندا من اضرار ، فأجابه اوليفاريز بأنها اضرار جسيمة ، ولكنها مع ذلك أقل تكلفة من ثمن باخرة جديدة ، كما علم منه أن شركة التامين جد مسرورة بهذه النتيجة بعد كل ما كان متوقعا . واختتم حديثه قائلا :

ـ وكارينا الآن فى مكتب الشركة للفراغ من هذا الأمر .»

وغير كيلستون موضوع الحديث من سانتالوشندا الى كارينا قائلا :

ـ سمعتك تقول فى الليلة الماضية ان كارينا وفدت على الجزيرة من تشيكوسلوفاكيا ؟

ـ أجل . انها الحرب يا كابتن . لقد انحازت الى الجانب الآخر ، وكما تعلم ..

ـ ولكن كل شيء انتهى منذ فترة طويلة .

ـ ربما كان ذلك صحيحا . ولكنها ممنوعة من الدخول الى أى بلد من البلاد المنتصرة .

ـ ولماذا ؟ هل كانت أسرتها نازية ؟.

ـ ان أخاها ، جوزيف كارانتيك ، كان يشغل مركزا كبيرا بالجيش الالمانى . ويهتم البريطانيون بالبحث عنه فى كل مكان .

فقال كيلستون بصبر نافد :

ـ لقد مضى كل ذلك وانتهى أمره .

وعلت وجه أوليفاريز شبح ابتسامة وهو يقول :

ـ ربما كان ذلك ما يجب أن يكون فعلا . ولكن ما جرى كان على العكس من هذا . فعندما دخل الروس بشيوعيتهم الى براج ، حيث كانت تشتغل بالتمريض ، حاولت أن تلجأ الى انجلترا فلم توفق .

فقال كيلستون غاضبا :

ـ على أى اساس كان ذلك ؟ وما ذنبها هى حتى تؤخذ بجريرة أخيها ؟.

ـ كانوا واثقين أنها تعرف أين هو وتخفى ذلك عنهم . وحتى لو فرضنا صحة هذا ، اما كان ذلك ما يفعله كل شخص فى مكانها ؟ أنت وأنا وهم أنفسهم ..؟

ـ فلم تجد غير البرتغال أو ممتلكاتها أرضا تلجأ اليها ؟.

ـ وهذا ما كان فعلا . لقد وفدت الى هنا على ظهر احدى سفنى خالية الوفاض لا تحمل معها غير اسمها كارينا كارانتيكوفا ، وقد أسعدنى الحظ بأن أكون أول شخص تقصده لتبحث عن عمل .

ـ الم تحاول مرة أخرى الالتجاء الى انجلترا ؟ لقد تغيرت الاحوال .

ـ ان الاحوال قد تغيرت فعلا . ولكنى اعتقد انها قانعة سعيدة بحياتها هنا . وما اظنها تفكر فى الرحيل الآن .. ومهما يكن من أمر ، فان أخاها لا يزال من المطلوب اعتقالهم .

ولم يعقب كيلستون بشىء .. وجلس صامتا برهة سمع بعدها أوليفاريز يقول له :

ـ يبدو لى انك مهتم بأمر كارينا يا كابتن .
ـ انها فتاة جذابة .
ـ لو كنت منك لاستفسرت منها شخصيا عما سألتنى عنه .
ولما هم كيلستون بالانصراف قال له اوليفاريز :
ـ من المستغرب حقا يا كابتن .
وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة .

ـ انها وجهت الى الكثير من الأسئلة عنك بعد انصرافك فى الليلة الماضية ولم يكن بوسعى أن اشفى غليلها . لعلك تفضل التوجه الى شركة التأمين . لابد وأن كارينا قد أنجزت ما لديها من عمل هناك .

وحاول أن يبدو طبيعيا ، وترك كيلستون أوليفاريز مودعا ، واتجه الى مكاتب شركة التأمين . حيث وجد كارينا مع المديروطلب اليه أن ينتظر .

وخرجت اليه بعد نصف ساعة. ولم يبد عليها أنها فوجئت بحضوره . وكان كل ما قالته له :
ـ كنت أرجو أن اراك ، ولكننى لم أتوقع ان يتحقق ذلك اليوم .

وبدأ يسرد على مسامعها ما اصاب الطائرة من عطب . وكانت تصغى اليه مبتسمة ، ولم تحاول ان تخفى مشاعرها حين قالت له :

ـ معنى ذلك أن امامك يومين آخرين . يومان كاملان بكل ما فيهما من ساعات ودقائق .

وبدا من لهجتها أنها تفرض مقدما أنهماسيقضيان هذين اليومين معا ، وسارا جنبا الى جنب ، ذراعا فى ذراع ، وقد تلامس كتفاهما فى دفعة القلوب المتفاهمة. وراح يتأمل وجهها الجميل الذى تدلت عليه خصلات شعرها الأسود يعبث بها النسيم ، فتزيده جمالا على جمال . ورأى فى عينيها لأول مرة صفاء الفرح ، بعد أن كانتا تفيضان حزنا وأسى .

قال لها :

ـ عجبا أكنت ترقبين عودتى ؟.

قالت له :

ـ كان هذا هو احساسى بمجرد أن التقيت بك . ولما وصلا الى مكتب اوليفاريز ، سألته أن ينتظر ريثما تستأذنه فى التغيب قليلا . وعادت اليه بعد قليل مسرورة جذلة ، لتعلن اليه موافقة اوليفاريز على الاذن لها .

ـ ٢ ـ

قالت له كارينا ، وهى تلمس ذراعه برفق :

ـ هناك يا مارك . هناك بعد الغابات !. تلك المبانى التى تحيط بالكنيسة . انها تذكرنى بالريف القريب من أورافا ، حيث كنا نرتع ونلعب صغارا فى وطنى .

وكانت سيارة الركاب الكبيرة تسرع فى سيرها صوب بحيرة فيرناس البركانية ، المختفية بين جبال سان ميجويل . وتأمل مارك المنظر المترامى أمامه مبتسما ، وأدرك أنه لاحاجة به لأن يشيد بجماله ، لأنها كانت ترى فى هذا الجمال قطعة من ماضيها فى وطنها بين أهلها وعشيرتها . وكانت مسترسلة فى حديثها ، تسرد على مسامعه ما كانت تلهو به هى وشقيقها جوزيف وأبناء عمومتها ، وما كان من أمر عمتها ماجدا معهم . وكانت تنظر اليه من وقت لآخر ، وكأنها وجدت فى هذه الذكريات وفى صحبته لها ما أنساها كل ما بنفسها من مشاعر أخرى .

اما هو فكان يشعر بفيض من السعادة الطاغية والدعة المستكنة عندما لامس كتفها كتفه واستقرت يدها بين يديه . ان ما مر به من أحداث وصادفه فى حياته من أطوار لم يكن بأكثر من صور ثابتة من الأبيض والأسود . وقد انقلبت هذه الصور فى جوارها ومعها حية متحركة تزهو بألوانها وبريقها .

وتوقفت بهما سيارة الركاب أخيرا أمام الحانة فى أعلى المنحدر وتركها المسافرون ليستريحوا قليلا بعد ما تعرضوا له من مشقة اثر صعود هذا المنحدر الوعر . وتركها عند باب الخان ليأتيها بكأس من شراب الماديرا . وعاد بالكأسين ليجدها جالسة على حافة الجدار تتأمل السهول الممتدة أمامها حتى شاطىء الأطلنطى . ووقف بدوره يتأمل جمال وجهها ورشاقة قدها . فلما شعرت بقدومه ، استدارت اليه بعينيها الرماديتين وقد افتر ثغرها عن ابتسامة حلوة وديعة .

واسرع يقدم اليها كأسها قائلا :

ــ فى صحتك . لست أدرى هل تنطقونها هكذا ؟ .

ــ لأنه كان قد نطق الكلمة باللغة التشيكية . وردت اليه تحيته بلغته الانجليزية . ولامس كأسها كأسه قبل أن تلامس شفتيها . ووقف يرنو اليها ثم سألها :

ــ الا تنوين العودة الى بلادك ؟ .

ــ كلا ، لم أفكر فى هذا مطلقا . .

ــ وماذا كان من أمر اخيك والعمة ماجدا وغيرهما من ابناء عشيرتك ؟ .

ــ أما عن أخى جوزيف ، فقد فرهاربا بعد انهزام الألمان . وعن عمتى وسائر أفراد الأسرة فهم لا يزالون هناك الا .. ثم ترددت قليلا قبل أن تستطرد :

ــ الا والدى الذى قتل ؟ .

ــ قتل ؟ . اذا لم يكن لديك مانع ، سردت على تفاصيل ذلك ؟ .

ــ بعض التفاصـــيل فقط . لان منها مالا ارغب مطلقا فى الافضاء به وبعد فترة تردد استطردت قائلة :

ــ لم يكن والدى نازيا . ويجب ان تثق فيما اقوله لك . ولكنهم كانوا يعتمدون عليه ، لأنه كان شخصية محبوبة تتمتع بنفوذ قوى ، وكان يعمل فى صناعة الصلب ، كما كان عمدة لبلده ــ عمدة يحبه الجميع .

وارتشفت قليلا من كأسها وواصلت حديثها ، وتقرب النازى اليه ، وتظاهروا بوضع ثقتهم فيه . وصدق والدى هذا واعتز بهذه الثقة . وكانت بلادنا معرضة لشرور من عدة نواحى . ورأى والدى فى النازية أقل الضررين ، الضرر الآخر فى اعتباره كان الشيوعية .. وما أن انتهت الحرب حتى أصبح كل من تعاون مع النازى هدفا للسخط وخارجا على وطنه . واستطاع أخى جوزيف أن يفر هاربا . أما والدى ، فقد قتل رجما بالحجارة فى عرض الشارع . قتله هؤلاء الذين عرفهم طوال حياته وأحبهم وتفانى فى خدمتهم .

ــ وجوزيف ؟ ماذا كان من أمره ؟.

وأرخت أهدابها محدقة النظر فى الكأس الذى كان بين يديها قائلة :

ــ جوزيف كان نازيا .

ــ اذن ، فقد كان بسببه انهم ...

ولم تدعه يتم ما كان بسبيل النطق به . اذ قالت له مقاطعة :

ــ وكان قبل كل شىء ... اخى !.

وافرغت ما تبقى بالكأس من نبيذ فى جوفها . ورنت اليه فى حركة رشيقة وهى تقول له وقد زال عنها مابها ، كأننا فى عطلة . ثم ضغطت يده بين يديها ضاحكة ، انه لمما يشرفنى أن أكون برفقة الرجل الذى تقدره الجزيرة كلها ــ رجل الساعة ..

وعادا ليستقلا السيارة مع غيرهما من الركاب . وانطلقت بهم جميعا فى طريق سهل ميسر ينحدر الى قرية تقع على مشارف بحيرة فيرناس . وتوقفت السيارة أمام الفندق ، وسمع كيلستون كارينا تقول له

ــ لا يمكن للسيارة أن تواصل السير بعد ذلك . وتبعها فى طريق وعر تحف به الأشجار على الجانبين ، ويخيم عليه السكون الذى فرض عليهما احترامه فسارا جنبا الى جنب ، وقد أصبحا نفسا واحدة وطاب لهما أن ينعما معا بكل هذا الجمال فى هدوء .

واخيرا قطعت كارينا حبل هذا الصمت قائلة وهى تشير بيدها ناحية منحدرات التلال والوديان .

ـ هناك بعض أشجار الأناناس ، ومن هنا طريق يؤدى الى شاطىء البحيرة رأسا ، ولكنه قد يكون كثير الأوحال .

ـ فلنحاول . واذا تعذر عليك السير حملتك بين ذراعى .

ولم تعرف لماذا أحمر وجهها خجلا عندما سمعت ذلك منه ومشت بجانبه على استحياء مطرقة تتخير طريقها بين حفر الطريق . ولكنه كان ممسكا بيدها حريصا عليها حرصه على شىء عزيز أثير وتابعا طريقهما بين الاشجار التى عزلتهما عن العالم فلم يشعرا الا بوجودهما معا منفردين .

ولاح لهما من بين أغصان الأشجار المدلاة ، ماء البحيرة وقد انعكست عليه أشعة الشمس فزادته بهاء وروعة ، ووقف مارك كيلستون مأخوذا بكل هذا الجمال . الجمال فى كل شىء يد الخالق المبدعة تظهر واضحة فى كل ما يحيط به . حتى فى كارينا التى وقفت الى جانبه آية من آيات الحسن والجمال . وامتدت يداه الى كتفيها يجذبها اليه ليودع شفتيها قبلة أودعها كل ما تفيض نفسه به من أحساس وشعور .

ثم خلى بينه وبينها ، ورفع يديه عن كتفيها ، وخطت الى جدول صغير بين الصخور وقفت تتأمله لحظة ، ثم انحنت على فروع السوسن تلتقط منها ورقتين ناولته احداهما قائلة :

ـ لكل منا ورقة .

وتأمل الورقة فى يده ، ثم رفع اليها عينيه دهشا مستفسرا فقالت له ضاحكة :

ـ لا تنظر الى هكذا . انه تقليد تشيكى ، فى أوراق شجرة السوسن سر ساحر . انها تحكى لك مستقبلك وتعين الك مختار قلبك ، ومدى أرتباط حياته بحياتك .

ـ هذه الورقة ؟ . كيف ؟ ..

- فلتلق بورقتك الى الجدول . وسأحذو انا حذوك . وسنعلم من الورقتين ما نريد ونبغى . هل يرتبط مصيرى بمصيرك ؟. هل سنلتقى مرة أخرى ؟.

فقطب ما بين حاجبيه ، ووقف يحملق فى وجهها دون أن ينطق بكلمة واحدة ... فأفهمته بأنهما يجب ان يلقيا بالورقتين معا .

فألقى كل منهما بورقته ، ووقفا يتابعان مسيرهما . واخيرا اتصلت الورقتان قرب نهاية الجدول . فقالت كارينا جذله :

- هذا فأل حسن ، وراحا يرقبان الورقتين معا حتى غابتا فى أمواج البحيرة ... ووقف كارينا بعد ذلك ساهمة ترقبهماعندما طفت المياه عليهما .

وارتقيا صخور المنحدر ، حتى بلغا منبسطا يشرف على الوادى الأخضر الجميل .

وأشار كيلستون الى نتوء صخرى أملس ، وسألها فى صوت جاد أن تجلس . ووقف امامها يحدق فى وجهها الذى رفعته اليه مستفسره ، لأنها شعرت من لهجته انه يريد أن يتحدث اليها بشيء هام . وسمعته يقول لها ، موليا ظهره الى الوادى :

- لدى ما يجب ان اصارحك به ، بل وماكان يجب أن أصارحك به من قبل ... وأصغت اليه ممتثلة بعينين متسائلتين .. ولم يجد بدا من أن يبعد وجهه عنها وهو يقول فى صوت مهتز النبرات !

- لا استطيع ... أعنى اننا لن نستطيع ....

فقاطعته كارينا قائلة فى هدوء .

- تعنى اننا لن نستطيع أن نستمر فيما نحن فيه لانك متزوج .

- وكيف عرفت ذلك ؟.

- وماذا كنت قائلا لى غير هذا !. وماذا هناك من سبب يحول بين استمرارنا فيما بدأناه غير ذلك ؟.

- فاستطرد قائلا :

ـ ثم انلي ولدا . ولم تعقب ، وتأمل وجهها الذى نم عما يعتمل فى نفسها من أسى يفوق أساه . فاستمر فى حديثه قائلا :

ـ تلك هى حقيقة الأمر ياكارينا . ولعلك تفهمين الآن كل شيء .. قال ذلك بلهجة قاطعة ، ضاغطا مخارج الحروف من كلمات مقطعه الأخـــير . ولم تعلق بشيء على ما قاله ، ولاحظ أن بريق عينيها قد تغير سناه .. وراحت تشغل نفسها بالنظر الى الحقول وقمم الجبال ، متنقلة ببصرها بينها صعودا وهبوطا . فلما استقرت بعينيها اخيرا على وجهه رآهما وقد أغرورقتا بدموع انحبست فى مآقيهما لا تفيض .

ثم راحت تتأمل يديها ساكنة لا تتحرك . واخيرا قالت :

ـ انك على حق يا مارك ، وكانت تنتقى كلماتها بكل عناية : فاذا ما استطعت أن ... أن تعدل عما بدأناه .. وكنت سعيدا بذلك .. فلتعد الى ما تركته .

ـ انك تستطيع هذا الآن لأننا لم نكد نبدأ .. إننا ما زلنا فى أول الطريق ..

فأجابها قائلا :

ـ اننى لم اترك شيئا لأعود اليه .

فقالت :

ـ لم أعن هذا بالضبط . ثم رفعت كتفيها غير مبالية وهى تقول :

ـ ومهما يكن من أمر فتقرير ذلك متروك لك وحدك .

ـ لقد قررت ..

ومد لها يده ليعينها على النهوض .. ولكنها تجاهلتها ونهضت مولية وجهها شطر الناحية الأخرى من التل . فتبعها كيلستون ولاحظ انها تمشى بخطى ثابتة رافعة رأســها فى الهواء .. وكان سعيدا لأن الأمر ما كاد يبدأ حتى انتهى ، قرير العين بأنها انسحبت من حيـــاته بعد أن ساءها ما سمعته منــه .. وتعمد ان يشغل عينيه بالنظر الى الوادى وما فيــه حتى لا تســتقرا على قوامها

الذى كان يميـــل مع خطواتها التى تهتز كالنغم على الصـــخور يمينا ويسارا . وكان يتعجل وصوله الى السيارة التى ستنقله الى الفندق ومنه الى طيارته بمجرد اعدادها للطيران . وبذلك يصبح بمنأى عن تأثيرها وعن سحرها الذى جذبه اليها . وكما تبدد أشعة الشمس استار الضباب المتجمعة فوق سطح البحيرة ، بدد تحكيمه لعقله ما مر به من أطياف الأوهام .

وأخرج يده من جيبه ليراجع ساعته . وفجأة وجدها تمد يدها اليها فلم يشعر الا وقد احتواها بين ذراعيه وكأنها كل ماله فى هذا الوجود .. وارتســمت ملامح الدهشة على شفتيها فبــدا فمها جميلا ، فأودعه قبلة أطاحت بكل ما سببه لها من ألم وحزن .. وقال لها وهو يرفع وجهها اليه بيديه الحانيتين :

ـ هذا القرار لم يصدر عنى ابدا . وما كان لأى منا أن يتخذه أليس كذلك ؟ اننا لم نعد نملك من أمر نفسينا شيئا . ان الفراق لم يقدر لنا بعد هذا اللقاء الذى وجدت فيه ما كان ينقصنى .

***

زهت الشمس بأشعتها منطلقة بعد أن تخلصت من سجنها خلف أسوار العاصفة الداكنة بعد أن ظلت فيه مدى يومين كاملين . ونفذت ساطعة الى قمرة الطائرة «ايزى دوج» . التى كانت عائدة الى لندن بركاب الطائرة «ايزى زيزا» . أما الاعصار فيليسيتى فكان فى طريقه الى النرويج ، متيحا الفرصة لجو انجلترا أن يتحسن ويستقر .

وفى سهولة ويسر هبط فيرس قائد الطائرة «ايزى دوج» الى المطار قائلا للطيار المساعد كوكروفت .

ان الاحوال الجوية من الاستقرار بحيث كان من الممكن ان تهبط أنت بالطائرة دون مساعدة منى . ثم ترك الطائرة الى مكتب الشركة بالمطار ليقدم تقاريره المعتادة . وبينما كان موجودا بغرفة العمليات أبصر طائرة من طراز مارلبورو تستعد للهبوط بأرض المطار . فقال لعله كيلستون يعود بطائرته ايزى زيزا بعد أن تم اصلاحها. وتوجه فيرس الى مكتب بريد الشركة الملحق بغرفة العمليات ليســأل عن

وسائل باســـمه ، فالتقى بليمنج الذى قدم للفرض نفسه . قربت على كتفه قائلا :

ـ هاللو مايك ، ظننت انك في عطلة .

ـ فعــلا .

ـ ما الذى اتى بك اذن ؟.

ـ كنت انتظر رسالة باسمى .

ـ أو تطلب منهن أنت الآخر أن يكتبن لك على عنوان الشركة ؟.

ـ أولا تفكر فى شيء آخر غير النســاء ؟ لقد آن الأوان لتتزوج وتستقر .

ـ حاشا لله . لست احب أن أحذو حذوك . ان شغلى الشاغل هو النساء والطائرات . وهما بالنسبة الى بمثابة الشوكة والسكين هل قدمت بسيارتك ؟.

ـ كلا . انها فى الاصلاح .

ـ اذن فلتصحبنى .

وقبل ليمنج شاكرا . واستقل مع فيريس سيارته التى انطلق بها فى الطريق الى تشارفيلد ، وكان ضباب الليل فى لندن قــد بدأ يعلن قدومه . وعرض فيريس على ليمنج أن يشاركه فى الشراب . وقبل الأخير العرض ، وتوقفا أمام حانة « لامب اند دراجون » ..

وجلسا يتجاذبان أطراف الحديث . واستفسر ليمنج من فيريس عن أحوال مارك كيلستون ، فقال له :

ـ أراهن أنه قد ساءه ان يرحــل هكذا سريعا عن جزر الآزور .

ـ مــاذا تحــاول أن توحى به الى ؟ . هل فى الأمر عــلاقة غــرامية ؟.

ـ هذا غير ممكن على الاطلاق .

ـ انا نفسى كنت من رأيك ، وكنت أرى وقوع ذلك من الامــور المستحيلة . ولكن ..

ـ يا لله ! فيريس ، الآن تفكيرك محصور فى هذه الأمور ترجع كل ظاهرة الى مثل هذا التعليل ؟ كلا . ان مارك ليس من هــــذا الطراز من الرجال . انك ..

ـ شيطان . أعرف ذلك . ولكنني كنت أستبعد هذا عن الرجل الحديدى . ومع ذلك فهو حق لامرية فيه . لقد التقى بالفتاة فى سان ميجويل . لقد رأيتها . وهي فاتنة جميلة . بقى أن تعرف أنها من الشعوب البيضاء .

ـ انك تهذى !.

ـ ان الهذيان ليس من شيمة الشباب أمثالنا . انه خليق بالشيوخ . انها حقائق رأيتها رأى العين . . واليك مارأيت وشاهدت تعرف أنني قضيت أمسيتين بفندق كاريراس . وكان مارك كيلستون بطبيعة الحال يشغل الغرفة المخصصة للكابتن . فأفردوا لى غرفة تبعد عن غرفته بغرفتين . ولم يسعدنى الحظ بلقائه طوال الأمسية وقبيل منتصف الليل ، كنت جالسا الى البار ورأيته يدلف الى الردهة وفى صحبته فتاة . وحييته مرحبا ، فبادلنى التحية مسرورا فرحا بلقائى على غير ماكنت أنتظرمنه فى مثل هذه الظروف . وقدمنى الى الفتاة ، وكانت تدعى كارينا . ودعوتهما لتناول بعض الشراب فاعتذرا . ثم توجها الى الدرج يدا فى يد وارتقياه الى الطابق الأعلى فماذا ترى فيما رأيته بعينى وسردته على مسامعك ؟.

وغشيت وجه ليمنج مسحة من دلائل الشك فى بادىء الأمر . غير أنه استبعد أن تكون القصة من نسج خيال فيريس . فقال بعد برهة استغراق قصيرة :

ـ لعلهما كانا بسبيل استعراض بعض الأمور . . ثم تقفل بعد ذلك راجعة الى منزلها .

ـ لقد مكثت فى مكانى حتى الثانية . ولم يتصادف انني التقيت بأحد منهما فى اليوم التالى .

ـ عجبا ولكننى مع ذلك أعتقد أنك تتوسع فى تفسير الأمور . ان المرء ليتستر على تصرفاته اذا ماكانت بالوضع الذى تصوره . هذه العلانية تباعد بينى وبين الاسترسال فيما تزعم .

ثم التزم ليمنج جانب الصمت ، ولم يتفوه بشىء حتى فرغا من شرابهما ، ونهض مبديا رغبته فى الانصراف .

وفى طريقهما الى منزل ليمنج ، واصل هذا صمته وتفكيره ،مما دعا فيريس أن يقول له ، مهما يكن من أمر ، فالمشكلة مشكلة مارك وليست مشكلتك .

ولكن ليمنج لم يكن يفكر فى مشكلة كيلستون وحده ، وان كان ماسمعه قد حرك نواحى أخرى فى ثنايا تفكيره . انها مشكلةالطيارين جميعا وما يصادفهم فى حياتهم الزوجيـــة من صــــعوبات عندما يغتربون عن منازلهم .

لقد كان ميشيل ليمنج قرير العين بحياته الزوجية الســعيدة الهانئة . وهاهى ذى الآن قد تفككت وضاع منها بهاء تكاملها .. وهاهو ذا يرى من حوله الصخور الناتئة تهدد سلامة هذه الحياة. وهذه زوجته ميلانى تتجنبه وتعرض عنه وتقلب نعيمه جحيما ،مما حمله لأول مرة فى حياته على أن يتلمس عذرا لمغادرة المنزل هــربا من جوه الخانق .

وكان كل ماقالته له ميلانى عند عودته للمنزل :

ـ عشاؤك معد فى المطبخ .

وجلس الى مائدة عشائه وحيدا ،ثم قضى سهرته يراجع جداول مواعيد الطائرات ويعيد حساب ساعات العمــــل . فلما آوى الى فراشه قال لزوجته :

ـ سأتوجه لمقابلة مستر فيتش بعد ظهر باكر . انك تعــرفين من هو . انه مدير الخطوط . وكان ينظر الى زوجته محاولا أن يوحى اليها بأن هناك شيئا ما يجول بخاطره ، وان هذا الشيء يمس حياتهما معا ، وأنه لمصلحتهما أيضا .

فأدارت ميلانى ظهرها له قائلة :

ـ لك أن تفعل مايحلو لك . ان ذلك لايعنينى فى كثير او قليل .

***

حققت فيرونيكا براونلو بزواجها من الكابتن كيلستون كل ما كانت تبغيه من الحياة . لا لأنها قد تزوجت من مارك بالذات ، ولكن لأنها قد حصلت على الزوج فى شخصه ، وهذا بغية كل فتاة فى هذه الحيـــاة .


القاضي

وكانت فيرونيكا الفتاة ، جميلة فاتنة ، وهى الآن مثيرة بقوامها الفارع وأناقتها الرشيقة . وكانت تنطق بالكلمة المناسبة فى الوقت المناسب ، كما كانت موضع إعجاب الجميع فى المنتديات ومحل ثقتهم ، لا تخشى فى الحق لومة لائم .

وكانت ترى فى زواجها زواجا موفقا . فقد هيأ لها مارك عيشة راضية مرتفعة المستوى ، أتاحت لها حياة إجتماعية تبادلت فيها السهرات مع كثير من الاسر فى تشارفيلد . وهى نفس الحياة التى تحبها فيرونيكا وتميل اليها . وعندما رزقت بمولود لم يمنعها هذا من مواصلة حياتها الاجتماعية ، بعد أن وفقت الى فتاة قروية ترعاه وتعنى بأمره .

ولم يكن يضايقها شىء فى حياتها ، الا عزوف مارك عن التعرف بأصدقائها ، وعدم ميله الى الاندماج فى سهراتهم . ومهما يكن من أمر عزوفه هذا ، فانها لم تتأثر به كثيرا ، لان طبيعة عمله كانت تقتضى غيابه عن منزله ، مما أتاح لها التمتع بكل محاسن الحياة الزوجية ، وعدم التعرض كثيرا لمضايقاتها . وظلت هكذا سادرة فى تصورها الخاطىء ، حتى أدركت شيئا فشيئا ان مسالك الحياة تبتعد بكل من الزوجين عن الآخر ، وان كلا منهما ، هى ومارك ، يعيش عيشة منعزلة ، وان أظلهما سقف بيت واحد .

وسرها ماقرأته فى الصحف عن مارك بالنسبة لموضوع سانتا لوشندا . ووجدت فيما كتب عنه موضوعا للحديث فى حفلات الكوكتيل التى كانت تؤمها . كما وجدت فيه بابا مفتوحا لمبادلة زوجها الحديث فى موضوع جديد عند عودته . وكان أن بادرته قائلة ليلة عودته .

لم يدر بخلدى مطلقا أننى سأقرأ عنك فى صحيفة « نيوز أوف ذى وورلد » كما أقرأ عن كل من هو موضع تقدير وتبجيل . لقد أصبحت حديث المنتديات .

ولم يجب بأكثر من ابتسامة مصطنعة .

وكانت الساعة قد جاوزت السابعة ، وكان ولدهما قد أوى الى فراشه . فتوجها الى غرفة الجلوس ، حيث قدمت اليه فيرونيكا قليلا من شراب الشيرى . وراحت تثرثر وتثرثر دون أن تتنبه لتجهم

وجه زوجها ؟ ولما توقفت عن ثرثرتها ، وكانت الساعة قد قاربت الثامنة ، قال لها مارك بكل هدوء :

ـ فيرونيكا .. أريد أن احصل على طلاقى منك .

وكانت تقف بجوار النافذة لتسدل ستائرها .. ولم يسمع فى مكانه من الاريكة ماينبىء عن وجودها اطلاقا . واستدار ليرى نظرة الفزع فى عينيها . ثم سمعها تقول له لاهثة :

ـ مارك ، ترى ماذا تعنى بقولك هذا ؟.

ـ الطلاق . يؤسفنى يا فيرونيكا .

ـ لماذا ؟ أو هكذا فجأة ودون مقدمات ؟ .

ـ ان زواجنا لم يكن زواجا موفقا .

ـ انك لم تقل ذلك من قبل .

ـ لم يكن هناك داع لهذا . أما الآن فقد تغيرت الامور .

ـ حقا ، ان كلا منا كان يعيش كما يحلو له . ولقد حسبتك راضيا عن هذه الحياة .

ـ كنت راضيا لانها كانت السبيل الوحيد أمامى . وهذا لايمنع من ان زواجنا كان زواجا فاشلا . وجاهد أن تبدو كلماته رقيقة خفيفة الوقع ، وان كانت ترن فى أذنيها قاسية ثقيلة . ان كل ما كان يشعر به حينئذ ، أنه كان يريد أن يتخلص من هذه الحياة ومن هذا الفراغ القاتل .

وما ان زال عنها اثر الصدمة الأولى ، حتى تركت مكانها واتخذت لها مجلسا على الاريكة فى طرفها الاخر قائلة فى حدة الغضب :

ـ فى الأمر امراة اخرى .. اننى واثقة من ذلك .

وبالرغم من أنه كان يائسا من فهمها لحقيقة الموقف ، الا أنه حاول جاهدا أن يوضح لها الامر فى تؤدة واناة . واضطر أن يصارحها أخيرا .

ـ اننى لم اتذوق من قبل مثل هذه السعادة . تلك السعادة التى منحتنى اياها كارينا .

ـ ولكنك لم تقل من قبل انك لم تكن سعيدا .

ـ اننى لم أكن أحس بالحياة هذا الاحساس الذى يمكننى به

ان افرق بين السعادة والشقاء . ولكننى لم اكن راضيا عن حياتى فى مجموعها .

ــ هذا الحديث عن السعادة ، أقرب ما يكون الى حديث الاطفال الذين يريدون أن يبلغوا القمر طولا ان كل ما فى الامر انك فتنت بامراة ما . فلا ترهق نفسك بالتعمق .

ــ ان الامر ليس افتتانا أو ولها .

ــ اننى أراه كذلك . وخير لك أن تنتهى منه وتبتعد عما أنت فيه من وهم .

ــ ان ما أريد ان أنتهى منه هو زواجنا . اريد طلاقا .

ــ فيم كل هذا العناء لديك غير وسيلة ؟ .

ــ ليس من سبيل الا الطلاق . فيرونيكا .

فضحكت . واهتزت نبرات صوتها وهى تقول ساخرة :

ــ اذن فهى لن ترضى بأقل من خاتم الزواج .. قل لها بصراحة أنها لن تفوز به . كلا .. لن تفوز به منك بالذات .

ــ أرجوك يا فيرونيكا .

ــ اذهب اليها حيث كانت .. هذا كل ما تستطيع أن تفعله الآن أهى من السذاجة بحيث لا تفهم ؟ لعل أسرتها .

ــ ليس لها أسرة فى هذه البلاد ، وهى ممنوعة من دخولها لأسباب سياسية .

ــ اذن ، فهى اجنبية غير مرغوب فيها .

ــ كان شقيقها نازيا .. أما هى فلم تكن .

ــ ولذلك تريد أن تتزوج منها لتكتسب الجنسية البريطانية . لابد وانك قد فقدت عقلك .

وحاول ان يقنعها أنها بطلاقها منه لن تتأثر ماليا . فلما استفسرت منه عن مصير ولدهما جون ، قال لها انه يرغب فى الاحتفاظ به . فابتسمت ساخرة وهى تقول له :

ــ انك تريد كل شىء لنفسك . أليس كذلك ؟ .

ــ من حقك أن تحتفظى به . سيان عندى .

ــ سيان عندك أو عندى .. يجب أن تعلم انك لن تحصل على

هذا الطلاق ، وان جون سيبقى معى ؟ وانك تجافى الصواب بكل ما تعتزم وتقول :

ـ أعرف ذلك بناء على تقاليد المجتمع ووجهة نظره .

ومرت بهما ثلاث ساعات فى مناقشة لم تنقطع . ولم تحاول فيرونيكا أن تخفى غضبها واحتقارها لتفسيراته وتحليله لموقفه .. وكان يقابل هذا منها فى صبر وأناة لأنه كان يدرك تمام الادراك ضعف مركزه من جميع النواحى حتى القانونى منها . وحاول بكل ما فى وسعه أن يقنعها بأنه لا جدوى من حياتهما الزوجية ، ضارعا اليها أحيانا ، مرغبا أحيانا أخرى بكل المغريات . ولكنها أصرت على موقفها رافضة كل العروض .

ـ لا جدوى من الاسترسال فى محاولتك هذه . انك زوجى . ويجب ان تعلم ـ انك لن تكون بحال ما زوجا لغيرى .

- ٣ -

جلس مستر فيتش الى مكتبه راضيا عن نفسه قرير العين بحياته . وكانت الساعة لم تتجاوز بعد التاسعة والنصف صباحا ، عندما سمع رنين التليفون ورفع السماعة وانصت لصوت نسائى يسأل عن مدير خطوط وسط الاطلنطى . ولما أجاب بأنه هو المتحدث طلبت اليه صاحبة الصوت أن ينتظر قليلا . وبعد عدة اتصالات على طرف الخط الآخر قيل له أخيرا :

ـ سيتحدث اليك رئيس مجلس الادارة فى مدى دقيقة .

وانتظر وهو يتساءل عما حدا برئيس المجلس أن يتصل به فى تلك الساعة المبكرة بالنسبة لطبيعة العمل . وأخيرا بادره الرئيس قائـــلا :

ـ اسعدت صباحا .. لدى أنباء سارة لك يا فيتش .
ـ ترى ماذا عساها أن تكون يا سيدى ؟.
ـ أعتقد أنك ستسر بها . انها عن المحطة الليلية فى جزر الآزور

فاستقرت عينا فيتش على مكان جزيرة سان ميجويل من الخريطة . ثم سمع رئيس مجلس الادارة يستطرد قائلا :

ـ ان هذه المحطة الليلية يا فيتش تتكلف كثيرا .

اننا ندفع حوالى تسعة آلاف جنيه للفنادق حرصا على راحة الركاب وطاقم الطائرات .

ـ انه مبلغ طائل .. ماذا ترى فى ضغط هذه النفقات ؟.

ـ انه رأى سديد . ترى ماذا يدور بخلدك ؟.

وشرح له الرئيس وجهة نظره ، وناقشه فيتش فيها ، وأخيرا سأله الرئيس أن يبحثها مع الطيارين ، وبذلك أنهى محادثته التليفونية ، تاركا فيتش غارقا فى أفكاره وقد زايلته حالة الرضا التى بدأ بها صباحه . لأنه كان يعلم مدى صعوبة ما عهد به اليه ، وأنه ليس من اليسير أن يوفق بين ما يرضى به الطيارون وما ترضى به الادارة . وقضى يومه كله يقلب الأمر على كل وجوهه ، ولم ينصرف ذهنه فى تفكيره عن حادث اختفاء الطائرة بالقرب من جبل طارق منذ عامين ، وما قيل حينئذ عن سبب وقوعه وتعليل هذا بأن الطيار لم يكن قد نال قسطه من الراحة . ولم يستطع اطلاقا أن يبعد هذا الحادث عن خاطره .

وانتهى أخيرا الى أنه يجب أن يرجع فى ذلك الى آراء جميع الطيارين ، من يثق بهم ومن لا يثق بهم . وأقبلت سكرتيرته فى ساعة تناوله شاى بعد الظهر لتعلن اليه أن الكابتن ليمنج فى الخارج يرجو مقابلته . فأذن له بالدخول ورحب بمقدمه ، لأن فى هذه المقابلة ما يخلى بينه وبين ما يشغل فكره .. ولأن ليمنج من الشخصيات المحببة الى نفسه .

وبعد أن استقر بليمنج المقام ، سأله فيتش عما أتى به ، قال له انه قدم ليتحدث اليه بشأن الأماكن الخالية فى طائرات الشركة فى غدوها ورواحها . وسر فيتش بهذه الروح الطيبة وتأمله قائلا :

ـ اعرف هذا يا ميشيل . ولكن بربك قل لى ماذا بوسعنا ان نفعل علاجا لهذه الحالة ؟.

ـ ليس هناك من علاج مبدئى الا بالغاء المحطة الليلية بجزر الآزور وبذلك يمكن اقتصاد مبلغ كبير ، علاوة على مايتوافر نتيجة لهذا من وقت . ومن المفروض يا سيدى أن بضاعتنا هى السرعة .

ودهش مدير الخط ، حتى أنه لم يصدق أذنية فى أول الامر ، انه يسمع من أحد الطيارين اقتراحا مماثلا لما سمعه من رئيس مجلس الادارة . فقال له مستفسرا ليتأكد مما سمع :

ـ المحطة الليلية فى الآزور ، هل ترى انه يمكن الاستغناء عنها ؟.

ـ لقد خيل الى أن الاقتراح قد يروق لكم ، الا اذا كنت ترى ...

ـ مهلا ، مهلا .. من قال ان الاقتراح لا يروق لى ؟ . انها فكرة صائبة ولكن كيف يمكن تنفيذها ؟.

ـ بمواصلة الرحلة رأسا .

ـ كيف ؟ هذا يعنى يوما كاملا ، بليله ونهاره ، من العمل بالنسبة لطاقم الطائرة .

ـ ولم لا يكون ذلك ؟.

ـ لا بأس . يطيب لى أن أسمع هذه الاقتراح منك بالذات . وسأتولى عرضه بكل ما فى وسعى من تأييد له .

ـ انه جدير بتأييدك . لأنه سيوفر الكثير من الوقت والمال .

ـ ترى ما هو راى سائر زملائك من الطيارين ؟.

ـ لقد تحدثت فى ذلك مع فيريس وقد وافق على الفكرة مبدئيا وانا واثق من أن زملائى سيكونون من هذا الراى .

وطال بهما الحديث ساعتين كاملتين ، استعرضا فيهما معا ، الموضوع من جميع زواياه . ثم نهض ليمنج مستأذنا فى الانصراف وترك فيتش سعيدا قرير العين مرة أخرى ، بعد أن وجد فيما عرضه عليه ، مايقربه من رغبة رئيس مجلس الادارة .

ومرت الايام ، وجلست ميلانى تراقب زوجها وهو يعد نفسه لاستئناف عمله بعد انتهاء أجازته. وتنازعت نفسها مختلف العواطف من خيبة الرجاء فى حبها ، الى الاسف لما جرى بينها وبين زوجها لقد تعرضت حياتهما لأول عاصفة من نوعها . لطالما دللته ولطالما

قامت على خدمته وارضاء نزواته ، مدفوعة بحبها الشديد له .
وقبل أن يغادر المنزل ، قال ليمنج لزوجته فى بشاشة :
ـ آن الأوان لأنطلق الى عملى ..
فقالت له :
ـ هذا ما أراه فعلا .
وودت لوضمته بين ذراعيها ووضعت بذلك حداً لـكل شيء .
ولكن كبرياءها أبت عليها هذا . واقترب منها ليقبلها مودعا . فادارت اليه جانب وجهها شاحبا باردا . وغادر منزله مغموما محزونا .

ولم يطاوعها قلبها أن تراه فى هذه الحالة من الاسى والضيق ، فنادته قبل أن يجتاز باب الحديقة الخارجى فتوقف واستدار ليراها مقبلة عليه وقد عادت لوجهها بشاشته وحنانه ، فألقى بالحقيبة التى كانت فى يده ، وتلقاها بين ذراعيه فى دفعة الحنان والحب ، وغمر وجهها بقبـلاته ، وشعر كل منهما بزوال كل أثر لما كان بينهما فى الأيام االأخيرة من توتر ، وعاد لينصرف سعيدا راضيا قرير العين ، وعادت هى الى منزلها ، لتتنسم فيه مرة أخرى جو الهناء والنعيم .

وعلى بعد نصف ميل من هذا البيت السعيد ، كان هناك بيت تسير فيه أحداث الحياة على العكس من ذلك على خط مستقيم ، حيث انهارت الحياة الزوجية لأسرة كيلستون بأسرع مما كان متوقعا لها . ففى صباح هذا اليوم بالذات ، قالت فيرونيكا لزوجها مارك :
ـ اعتقد انه لا جدوى من اطالة الحديث فى هذا الموضوع .. لان الأمر كما يبدو لى ليس نزوة عارضة .
ـ تلك هى حقيقة الأمر فعلا .
ـ وهذا ما أعتقده فعلا . اذ يبدو لى أنها أحكمت القاء شباكها حولك .
ـ لك أن تفسرى هذا كما يحلو لك . والمهم انك يجب أن تعلمى اننى احبها فعـــلا .
ـ ان هذا ليس من شأنى . ولكنك يجب أن تعلم أنت أيضـا انك لن تحصل على ما تنشد من طلاق . كما يجب أن تعلم أننى لن أعيش فى هذا البيت بعد ذلك . ولا ولدنا جون .
وبدات تعد العدة بعد ظهر ذلك اليـوم لترحل هى وابنها الى

منزل والديها فى لندن . ثم دخلت فى تفاصيل ما سيخصصه لها زوجها من نفقات ، ودهشت لما وجدته منه من سخاء وبذل .

وقالت لزوجها ، قبل أن تغادر منزل الزوجية فى صباح اليوم التـــالى .

ـ عندما يعود اليك عقلك .. فانك تعرف أين تجدنى .

واحتضن مارك ولده وقبله بادى الأسى . اما فيرونيكا فقد رآها تخرج من حياته بارتيـــاح كبير . فقد كان يشعر فى الأيام القليلة الأخيرة ، بثقل وطأة هذه الحياة التى لم يكن يسودها التفاهم بينهما منذ بدايتها . ووقف يتابع ببصره السيارة التى أقلتها الى محطـــة السكة الحـديد ، حتى اختفت بفيرونيكا عن ناظريه مع انحراف الطريق .

وقبل أن يستأنف عمله فى يوم الخميس التالى ، أخلى الشقة التى كان يستأجرها ، وأودع أثاث منزله احد المخازن ، وتوجه الى لندن ليبحث عن غرفة تصلح سكنا له . وكان راضيا قرير العين لتخلصه من هذه الحياة الزوجية التى كانت تبعث فى نفسـه الملل ولم يكن فيها ما يجب أن يكون من تفاهم وتعاطف بين الازواج . أما عن الطلاق . فقد كان يرجو أن تغير فيرونيكا رأيها فى يوم من الأيام كما كان دأبها من قبل .

ثم توجه الى ادارة الأجانب ، ليبحث موضوع السماح لكارينا بدخول انجلترا . واتضح له أن الأمر يحتاج الى بحث قد يستغرق وقتا طويلا . الا أن ذلك لن يحول دون رؤيته لها فى مراحل طيرانه أما ما ينتظره من نعيم مقيم ، فيساوى عنده كل ما يجب ان يتذرع به من صبر وطول أناة .

الجزء الثالث

نهاية ربع الدائرة
الجنوبى – الشرقى
٢٠ اكتوبر – ٢٦ نوفمبر

– ١ –

عرض فيتش على الطيارين اقتراح ليمنج بشأن زيادة ساعات الطيران المتواصل والغاء المحطة الليلية فيجزر الآزور ، وطاب نفسا عندما وافقوا الواحد بعد الآخر على هذا الاقتراح دون معارضة او تذمر .. ولم يبق غير كيلستون الذى لم يستطع فيتش الاتصال به .

ولما كان رأى كيلستون من الأهمية بمكان ، فقد حرص فيتش على الحضور مبكرا فى يوم الخميس المعين لخدمته . ودهش عمال غرفة العمليات عندما فاجأهم مدير الخط بحضوره فى هذه الساعة المبكرة من صباح يوم من أيام نوفمبر الشديدة البرودة وعلم منهم أن كيلستون موجود عند الطائرة « ايزى فوكس » .

وتوجه فيتش الى حيث التقى بكيلستون ، وسأله عما اذا كان بوسعه أن يخصص له بضع دقائق من وقته ، فأجابه الأخير بأن أمامه ست ساعات قبل ان ينطلق بطائرته لاجراء بعض الاصلاحات بها . وعقب على هذا قائلا :

ـ كان المفروض أن أطير في التاسعة .. أن هذا التأخير سيحرمني من نصف راحتي الليلية في جزر الآزور .
ـ اذن ، فأنت ترى أن هذه المحطة الليلية لاغنى عنها ؟.
ـ انها من الأهمية بمكان .
ـ عجبا ! ان جميع زملائك من الطيارين يرون غير هذا الرأى .
ـ علمت بذلك .
ـ كنا نرجو أن نستغنى عنها .. انك تعرف ما تتكلفه من نفقات .
ـ لقد سمعت بهذا أيضا .. غير أن لدى من الأسباب ما يبرر وجهة نظرى . أولا ، انه ليس من اليسير على الطيارين أن يواصلوا الطيران مدى اربع وعشرين ساعة دون راحة معقولة . وثانيا ، ان طائرات المارلبورو من طراز قديم بحاجة الى تفتيش دقيق على محركاتها في منتصف المسافة .
واستأذن كيلستون لبعض دواعى العمل . وفهم فيتش من هذا انه غير راغب في اطالة الحديث . وبينما كان كيلستون في طريقه الى غرفة العمليات ، توقف فجأة والتفت الى فيتش قائلا :
ـ مهما يكن من أمر ، فبودى أن أشير عليك . بألا تنتظر الكثير من ملاحيك . ولا تبالغ في ثقتك بطائرات المارلبورو . اننا لا نريد « جبل طارق » آخر .
فاحتقن وجه فيتش قائلا :
ـ لست أرى علاقة بين ماكنا نتحدث به وبين حادث جبل طارق .
ـ ان سبب هذه الكارثة اما أن يكون راجعا الى عيب في الطائرة أو في الملاحين .
ثم مضى في طريقه الى غرفة الأرصاد تاركا مدير الخط في حيرة من أمره .
ولم يستطع فيتش ان يتحمل مسئولية البت برأى قاطع في موضوع الغاء المحطة الليلية ، لأن اعتراض كيلستون اثار في نفسه الشكوك والمخاوف ، وبعد أن خيل اليه أن الموضوع لم يعد بحاجة الى بحث أو تفكير أمام اجماع سائر الطيارين ، أعادته معارضة كيلستون وملاحظاته ليبدأ من جديد .

وفى يوم الثلاثاء التالى ، بعد تناوله طعام الفداء ، تلقى مذكرة من ادارة العلاقات العامة بالشركة . مرفقا بها الشكوى المقدمة من مستربار كنسون ، السياسى المعروف ، والمتضمنة رأيه فى كيلستون على أثر ما قام به من تعريض ركاب الطائرة للخطر ، عندما اندفع بطائرته فى غمار العاصفة لاغاثة احـدى السفن البرتغالية . وقد راى الشاكى أن كيلستون لا يصلح بحال ما لقيادة الطائرات .

ولم تكن هذه الشكوى هى الأولى من نوعها ، والتى تبعث بها ادارة العلاقات العامة لمستر فيتش ليتولى فحصها ، مما كان يقدم من المسافرين بين الحين والآخر ضد مختلف الملاحين . ولكن مستر باركنسون رجل له نفوذ ، مما يجعل لشكواه اهمية خاصة ، علاوة على ما ورد بها من اتهام خطير لقائد الطائرة بتعريضه حياة الركاب للخطر . ولذلك قرر مستر فيتش أن يحيل الشـــكوى الى قائد التدريب لفحصها .

وما ان انتهى من استيعاب ماورد بهذه الشكوى . حتى طلب اليه أن يتخذ اللازم مع مهندس يدعى كرايفيلد ، نسب اليه انه اصطحب امرأة الى غرفته بفندق ساراسين فى الساعة الرابعة صباحا . وقد طلبت ادارة الفندق من الشركة البحث عن مكان آخر ينزل الملاحون به محافظة على سمعة الفندق وحرصا على راحة نزلائه .

واطلع فيتش على ملف خدمة المهندس المذكور قبل أن يستدعيه لمقابلته . ولاحظ أن سجل خدمته بالشركة يؤيد هـــذا التصرف المعيب منه . كما وجد به ما يدل على أن كيلستون سبق له أن قدم تقريرا ضده بشأن عدم كفاءته قبل ذلك بشهرين فقط .

وما أن اقبـل كرايفيلد عـلى فيتش ، حتى راى فيه شكلا ، ما يؤيد كل ما قيل عنه ونسب اليه . ومما زاد الطين بلة انه لم ينكر شيئا مما ورد بشكوى الفندق ، الأمر الذى دعا فيتش أن يلقى على مسامعه محاضرة شديدة اللهجة عن ضرورة المحافظة على اسم الشركة وسمعتها .

واستشاط المدير غضبا عندما وجده لا يبالى بالاصغاء الى تلك المبادىء الأخلاقية ، وتنفرج شفتاه عن ابتسامة ساخرة ضاعفت من ثورة فيتش الذى قطع محاضرته قائلا فى حدة :

ـ ترى ماذا يضحكك يا مستر كرايفيلد ؟ خبرنى حتى أشاركك سرورك ؟.

ولكن الرجل ظل محافظا على إبتسامته ، مما حدا بفيتش أن يعيد سؤاله بصوت مرتفع أكثر حدة . وأخيرا تنازل كرايفيلد بالرد قـــائلا :

ـ ان ما ينسب الى ليس بشىء اذا ما قيس بما يفعله غيرى ، لماذا لا توجه هذا اللوم الى الكبار ؟.

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟.

ـ أعنى تصرفات الكابتن كيلستون فى جزر الآزور .

ولم يعقب فيتش بشىء . وآثر أن يلتزم جانب الحرص لأنه كان يعرف من تجاربه الطويلة ما أنطوت عليه نفوس البشر من حب الاساءة للغير تبريرا لأخطائهم ، وبالذات فى هذه المسألة المعروضة أمامه ، بعد ما اطلع على التقرير المقدم من كيلستون ضد هذا الرجل الماثل أمامه . فاتكأ بمرفقيه على المكتب الجالس اليه قائلا :

ـ من واجبى أن أنبهك الى أن كل ما ستقوله سيؤخذ عليك ، وعليك أن تفصح عما تحدثت به والا . . .

ـ الرجل الحديدى . ليس لدى الكثير مما يفصح عنه .. كل ما فى الأمر أن الكابتن كيلستون يلوذ بغرفة الكابتن معتكفا مع احدى الفتيات بمجرد وصوله الى فندق كاريراس . حتى وجبات طعامه ترسل اليه فى غرفته .

لقد كنت ضمن طاقم طائرته اخيرا . وشاهدت كل ذلك بعينى راسى .

فاستبدت الدهشة بفيتش ، وحملق فى وجهه غير مصدق لما سمع ـ فرفع المهندس كتفيه فى عدم اكتراث ، مؤكدا له أن هذه هى الحقيقة المجردة . وبالرغم من ذلك ، فان فيتش لم يزل غير مقتنع بما ســـمع ، ولم يخف شكه عن كرايفيلد ، مؤكدا له انه سيتحقق من الأمر بنفسه . مختتما كلامه :

ـ ومهما يكن من أمر ، فان اخطاء الغير لاتبرر اخطاءنا . وليكن

فى علمــــك أن آلشركة ستستغنى عن خــدماتك اذا ما بلغت بأية شــكوى ضدك .

وبعد انصراف المهندس ، توجه فيتش فورا الى مكتب رئيس الطيارين ، حيث أخبر فيذرستون بكل ما وصل الى علمه ولاحظ أنه لم يفاجأ بما سمعه . وكان كل ما قاله تعليقا على ذلك :

ـ كنت أتوقع أن تسمع بهذا الموضوع فى يوم من الأيام .

ـ اذن فقد كنت تعلم ؟ .

ـ أجل .. ان مثل هذه الأمور لا تخفى على أحد مهما ...

ـ منذ متى بدأت هذه القصة ؟ .

ـ منذ حادث الباخرة البرتغالية . حوالى الشهر تقريبا ، حين تخلف كيلستون ثلاثة أيام فى جزر الآزور . لعلك تذكر العطب الذى أصاب مؤخرة الطائرة « ايزى زيرا » ؟ .

ـ كيف لا أذكر هذا ؟ .

فضحك فيذرستون قائلا :

ـ وما أظنك ستنساه بعد ذلك .

ـ انني دائما آخر من يعلم . ترى لماذا لم تتقدم ادارة الفندق بالشكوى .

ـ لأن كيلستون قد أصبح بطــلا محليا بعد حادث السفينة سانتا لوشندا .

ـ ان له زوجة وابنا .

ـ أعرف ذلك . كان يجب عليه أن يستتر على الأقل .

وعاد فيتش الى مكتبه ليتدبر الأمر من كل نواحيه . وبعد أن انتهى من عمله اليومى ، رأى أن يمر بغرفة العمليات قبل عودته الى منزله . وهناك التقى بليمنج الذى كان يستعد للطيران . ولمـــا استفسر منه عن سبب عدم قيامه فى موعده المعين ، علـم منه أن محركات الطائرة كان بها عطل استدعى بعض الاصلاح .. وما ان سمع ذلك حتى استبد به القلق لأنه تذكر فى الوقت نفسه ما كان من عطل آخر فى الطـائرة التى كان سيسافر بها كيلستون يــوم الخميس السابق . وناقش ليمنج فى هذا ، ولكنه طمأنه وشرح له انها مسائل عابرة . ثم عاد فيتش ليستفسر من ليمنج عن صحة

ما وصل الى علمه خاصا بكيلستون ، فأكد له صحة هذه المعلومات وحياه مودعا .

وبدأت الصورة التى رسمها فيتش عن كيلستون ، تهتز ويختلط عليه أمرها فى ذهنه . وازداد حنقا عليه عندما تحقق بعد أن وضع النقط على الحروف ، من أن معارضة كيلستون الوحيدة فى الغاء المحطة الليلية ، كانت مفرضة لاتقوم على أساس من المصلحة العامة كما كانت ستارا لاخفاء مصلحته الشخصية .

- ٢ -

جلست مس ليبى شالونير ، المضيفة ، فى المقعد الخلفى بالطائرة ايزى زيرا تتأمل حذاءها ، بينما كانت الطائرة تنطلق من مطار لندن وكان ذلك منها على اثر ما أبداه زميلها المضيف ، مستر اتكنس ، عن عدم صلاحية الحذاء للسير به فى الطائرة .

وكان ليمنج سعيدا منشرح الصدر ، بعد أن انتهى ما كان بينه وبين زوجته من سوء تفاهم ، اتضح أنه لم يكن بأكثر من زوبعة فى فنجان . وكان فى طريقه الى مدريد وقد ترك مقعد القيادة ليتبادل الحديث مع الركاب ويجيبهم عـــلى ما يسألون . وقد سرهم أن يسمعوا منه أنه لا يعتزم التخلف فى جزر الآزور أكثر من الساعة التى يستغرقها تزويد الطائرة بالوقود . وكان هــذا هو تصميمه ليثبت لمستر فيتش صحة رأيه فىامكان قطع المسافة من لندن الى برمودا ، دون حاجة للتخلف الليلى الطويل فى جزر الآزور . ثم انتقل الى مؤخرة الطائرة حيث وقع نظره لأول مرة على المضيفة . وكانت تعد بعض المشروبات للركاب . ورآها فتـــاة فى الرابعة والعشرين من عمـرها ، شقراء زرقاء العينـين ، هيفاء منســقة التقاطيع . فسألها :

ـ انك حديثة عهد بالخـدمة ؟ « وكان يعرف أن اسمها مس شالونير » .

ـ أجل يا سيدى .

ثم أشار الى حذائها قائلا ؟

ـ هذا الحذاء لا يصلح للخدمة .

فضحكت قائلة :

ـ هذا ما قاله لي زميلى المضيف .

وعاد ليمنج ليتأملها معلنا لها أنهم لن يتخلفوا طويلا فى جزر الآزور ، كما كان قد أعلن ذلك من قبل الى سائر افراد الطاقم الذى يعمل معه (باتس وتمبرلى ودرابرود ربويت) .

وكانت المحطات الست ، الواقعة فى طريق الطائرة ايزى زيرا ، قد اخطرت بتأخرها فى القيام . ولم يكن دادلى مدير المحطة فى جزر الآزور مرتاحا لهذا التأخير الذى تكرر فى هذه الأيام . وما ان اخطر باشارة من ليمنج انه لن يتخلف للراحة بالجزيرة ، حتى زال عنه ما به من سخط وقلق ، مقدرا للطيار هذه الروح الطيبة .

وفعلا انطلق ليمنج بطائرته ايزى زيرا بعد ظهر هذا اليوم ، بعد استراحة قصيرة فى طريقه عبر المحيط الى برمودا .. وكان منشرح الصدر سعيدا بصفاء السماء وبصفاء نفسه .

وانطلقت ايزى زيرا على متن الهواء ثابتة فى انسياب سيارة كاديلاك على ظهر ارض منبسطة . وترك ليمنج مقعد القيادة الى مقصورة الركاب . وانتهز سائر افراد طاقم الطائرة الفرصة ليتبادلوا من أطراف الحديث ما شاء لهم دون رقيب يخشونه .

وفجأة اشتم باتس رائحة غريبة بينما كان معنيا بمراجعة ما امامه من خرائط ومقاييس ملاحية . وسأل دريويت عن ذلك ، فعارضة فى أول الأمر متهكما ثم عاد فوافقه عندما تبين صحة ما أنبأه به باتس .

وازدادت الرائحة نفاذا الى انف باتس ، فألقى بالقلم الذى كان فى يده ونهض عن مقعده ليتبين حقيقة الأمر . ولم يكد يخطو خطوتين حتى سمع انذار الحريق يدق فى مقصورة مهندس الطائرة الذى صاح بصوت أجش مضطرب قائلا :

ـ ان النار مشتعلة فى مقصورة متاع الركاب الأمامية . ارجوك أن تخطر الربان بذلك .

واندفع باتس مسرعا الى مقصورة الركاب ، واقترب من ليمنج الذى كان يتجاذب أطراف الحديث مع اثنين من الركاب ،وأسر اليه بالخبر . ولكنه لم يعد بحاجة الى اخفاء الأمر ، بعد أن رأى الدخان يتسرب الى مقصورة الركاب .

وأسرع الرجلان الى المقـدمة ، وقفز ليمنج الى مقعده صائحا :

ـ هبوط اضطرارى .

وتوقفت المحركات . وخيم سكون مطبق مروع على الطائرة ومن فيها . واندفعت ايزى زيرا هابطة بمقدمتها الى أسفل .

وفى صوت اهتزت نبراته من اثر الصدمة ، راح ليمنج يصدر أوامره بما يجب أن يتخذ من اجراءات فى مثل هذه الأحوال . ثم سأل درابر أن يبعث باشارة الاستغاثة بعد تحديد الموقع من باتس وأعلن لمعاونيه أنه يهبط بالطائرة الى مياه المحيط .

ولكن الطائرة بعد ذلك بنصف ساعة ، لم تزل سابحة فى الفضاء فوق مياه المحيط القاتمة . وبدأت الامور تستقر بها نسبيا بعـــد ما شملها من فوضى وذعر . وخفت كثافة الـدخان . وعاد دريويت ليعلن لقائده أن النار قد أخمدت نهائيا . وانتعشت نفوس الملاحين اطمئنانا وحمد الكابتن ربه ، وهــو يعود للارتفــاع الى أربعة آلاف قـــدم .

ولما استفسر من مهندس الطائرة عن سبب الحريق ، علم منـــه أنه ماس فى الاسلاك الكهربائية وأن البطاريتين قد تعطلتا عن العمل فتجهم الكابتن قائلا :

ـ كيف ؟ ألا يمكن تشغيل واحدة منهما على الأقل ؟.

ـ كلا ، لقد أتت عليهما النار .

ـ ولكن ذلك يعنى توقف جميع الخدمات الكهربائية .

ـ أعرف هذا ياسيدى ، ولكننى لاأجـد أية وسيلة لمعـالجة هذا المـوقف .

وحاول ليمنج أن يجد مخرجا من هذا الشلل الذى اصاب جميع الأجهزة الكهربائية بالطائرة ، ولكنه وجد نفسه عاجزا عن التفكير نتيجة لما كان يشعر به من أعياء بعد استمراره فى العمل مايقــرب من العشرين ســاعة .

ولكنه يجب أن يفكر ليجد مخرجا من ورطته هذه . ويجب أن يجهد ذهنه المكدود ليلتمس أفضل السبل التى يهتدى بها فى طريقه الى برمودا بعد أن تجردت الطائرة من كل وسائل الاتصال اللاسلكية ولم يعد يستطيع أن يعتمد الا على البوصلة ومؤشر السرعة وقـوة ابصاره . وعليه أن يهتدى بالنجوم فى طيرانه . والنجوم تحجبها عنه تلك الطبقات من السحب التى يتعين عليه اختراقها صاعدا حتى يرى النجوم التى ترشده الى جزيرة برمودا . تلك الجزيرة التى كان يرى الاهتداء اليها فى كل هذه الظروف المحيطة به ، تماما كالاهتداء الى ابرة رفيعة فى كومة من القش .

وأقبلت المضيفة لتسأله عما عساها أن تخبر به الركاب . وكان ليمنج قد نسى أمر الأربعين راكبا فى غمار مامر به وما يمر به من أحداث . وطلب اليها أن تخبرهم بأن كل شىء على مايرام مؤقتا .

وانقضت ساعة لم يستطع فيها ضابط الأرصاد أن يتبين شيئا مما حوله ، اذ كانت الطائرة ايزى زيرا تشق طريقها فى لجة من ظلام السحب الذى يغلفها من كل جانب . واضطر أخيرا أن يصارح قائده بذلك قائلا :

ـ لامعدى لنا عن محاولة اختراق هذه السحب صعودا حتى تنكشف لنا النجوم التى ستكون سبيل ارشادنا الى برمودا .

وكأن ليمنج كان ينتظر منه ذلك ليخرجه من تردده . وبعـد أن أعلن لمهندس الطائرة عزمه ، حرك عجلة القيادة متجها بهـا الى أعـلى .

وشقت الطائرة طريقها بين السحب . وعندما بلغت فى ارتفاعها ٧٠٠٠ قدم ، بدأت طبقات الثلج تتبلور على جناحيها ومقـدمتها . ثم واصلت طريقها صعودا حتى بلغت ٩٠٠٠ قدم دون أن تتكشف السماء لهم . وأعلن مهندس الطائرة أن استهلاكها للوقود يتضاعف لزيادة حمولتها نتيجة للثلوج المتراكمة عليها .

ولكن ليمنج ازداد بها ارتفاعا حتى قطع ٤٠٠٠ قدم اخرى اعـلن فى نهايتها انه لن يستطيع بحال ما الارتفاع الى اكثر من ذلك . انها تطير الآن على ارتفاع ١٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وحاول ضابط الأرصاد أن يتبين شيئا دون جدوى .

واخيرا لاح له بريق الأمل مع هذا الخيط الرفيع من الضوء البادئ من بين ثنايا السحب . ولم يصدق عينيه فى أول الأمر ، وخيل اليه انه من نسج خياله . فعاد يحدق النظر غير واثق مما يرى فلما تثبت من أن هذا الخيط الرفيع هو القمر هلالا ، نادى قائده مبشرا فرحا وامن هذا على قوله مؤكدا . وقام باتس الى خرائطه ومنظاره ومقاييسه يخطط ويراجع ويقيس ، حتى امسك أخيرا بطرف الخيط الذى يمكنه أن يتعلق به . وتبادل المعلومات مع الكابتن الذى أصدر اوامره بدوره الى الضابط الأول .

وبعد حوالى نصف ساعة من الطيران على مستوى واحد بعد الانحراف ٣٠ درجة مئوية الى الشمال ، قال باتس :

ـ اننا على بعد خمسة عشرة ميلا من الخط الصحيح . فاذا ما انحرفنا الى الجنوب الغربى ، أمكننا أن نعتدل فى الاتجاه المناسب .

وصدع الضابط الأول بما أمر به من تغيير الاتجاه . ثم أمره الكابتن بالهبوط من هذا الارتفاع الشاهق حتى يصل الى ٨٠٠٠ قدم . واستفسر من باتس عما اذا كان لايزال يرى القمر فأجابه هذا بالايجاب . وبعد قليل أمر الكابتن الضابط الأول بالهبوط حتى يصل الى ارتفاع ٢٠٠٠ قدم . وعندئذ حجبت كسف السحاب القمر مرة أخرى وبدأ تساقط الأمطار ، وواصلت الطائرة سيرها على غير هدى من نقطة ارتكاز تسترشد بها .

واسقط فى يد ليمنج . وبدأ يفكر فى الوسيلة التى يدخل بها الخبر على الركاب ليحيطهم علما بخطورة الموقف . واقلع عن التفكير فى أى شىء آخر يائسا قانطا .

وعندما بلغت به نفسه تلك المرحلة التى لاتدانى من اليأس والقنوط ، والتى يتوقف عندها العقل البشرى عن التفكير والتدبير ، سمع اصوات معاونيه تصيح منفعلة مهتزة النبرات :

ـ اضواء ، أضواء !.

واندفع هو وباتس لينضما الى الثلاثة الآخرين فى مقدمة قمرة القيادة ، والتصقت جباه خمستهم بزجاج نوافذها ، محدقين النظر فى خط الأضواء المحيطة بميناء هاميلتون .

وضاعف هذا الحادث من التقارير المقدمة لمستر فيتش فى لندن وأيد مهندسو المطار فى برمودا ما علل به مهندس الطائرة ايزى زيرا أسباب الحريق بها . وطالب الفنيون بضرورة اعادة النظر فى بعض التصميمات الداخلية بطائرات المارلبورو .

وتأخر قيام الطائرة عن موعدها ريثما يتم اصلاح ما بها من عطب بمطار برمودا . والتقى كيلستون ، الذى سيواصل الرحلة بالطائرة من برمودا الى بناما ، بليمنج فى الفندق وأحاط بكل تفاصيل الحادث منه . وصارحه ليمنج بكل ماتعرض له من يأس وقنوط . وسأله كيلستون عما حدا به ألا يتوقف فى جزر الآزور كالمعتاد .

فقال له هذا انه كان يحاول بذلك تعويض تأخيره فى القيام من مطار لندن . واعترف ليمنج لزميله بأنه لم يزل متأثرا بملابسات هذا الحادث ، غير مصدق أنه انتهى بسلام .

وكانت ليبى شالونير ، المضيفة ، هى الوحيدة ، من بين أفراد طاقم الطائرة ، التى لم تتأثر بهذا الحادث . ولم يكن من يقع نظره عليها ليحسب أنها مضيفة ، لولا أنها كانت تنضم لأفراد الطاقم عند تناولهم الطعام . وكانت تقبل على قاعة الطعام باسمة تتمايل فى دلال وتيه بقوامها اللدن .

وكان ليمنج يتأملها باهتمام بادى . وكان يرى فيها مادة ملطفة لما استبد به من قلق ، وماجثم على صدره من هم نتيجة لما تعرض له ، ومما أثقل عليه وأمضه ، مصارحةباتس له بأنهم ماكانوايتعرضون لما تعرضوا له ، لو أنهم تخلفوا كالمعتاد فى جزر الآزور .

وكان هناك عشاء راقص فى هذا المساء . واقبلت ليبى شالونير فى ثوبها الأسود ، ابهى ماتكون فتنة وجمالا ، يفوح شذى عطرها فتهدأ له النفوس وتستكن . وراقصت الجميع ، ولم تكن لتستقر على مقعدها ، حتى تنهض ملبية دعوات الرقص التى تنهال عليها .

وأقبل ليمنج على القاعة متأخرا . وجلس يراقب الراقصين متتبعا المضيفة ومن يزاملها . واخيرا قال لها ، ولم تكد تستقر فى مقعدها :

ـ لقد راقصت جميع الحاضرين تقريبا . ماقولك في أن تحاولي ذلك معي ؟

ـ بكل سرور ياكابتن .

وما ان شرعا في الرقص ، حتى تبدل حالها فجأة وسمعها تقول له :

ـ كنت أرجو أن تطلب مني مراقصتك ياميشيل .

ثم استطردت في أحاديث من هنا وهناك ، طوال فترة مراقصته لها ، وطاب له أن يستمع اليها ويصغي لثرثرتها .

ثم توقفت موسيقى الرقص ، وعاد كل الى مائدته ، وسمعها تقول له :

ـ لقد انتهت الرقصة سريعا .

وما ان استقر بهما المقام بين زملائهما حتى استعادت تحفظها قائلة له :

ـ شكرا ياكابتن .

* * *

كانت الرحلة الى باناما ميسرة سهلة . الجو صاف والسماء متألقة والرؤية ممكنة على بعد مائة ميل . واستقرت الطائرة بركابها على أرض المطار في وقت الظهيرة بعد رحلة دامت أقل من اثنتى عشرة ساعة تقريبا .

وكان للشركة استراحة من طابقين ، مقامة بين التلال شمالي المدينة .. أعدتها ليقيم بها الملاحون قبل استئنافهم لرحلتهم الطويلة عائدين الى لندن .

وكان الجميع مجهدين حتى انهم امضوا اليومين الأولين يقرأون في تراخي الكسل . فلما استعادوا نشاطهم في اليوم الثالث ، عرض عليهم دريوينت قضاء السهرة مع بعض الأصدقاء في القطاع الأمريكي تلبية لدعوتهم .

وعند تناول طعام الغداء في ذاك اليوم ، عرض دريوينت الفكرة على ليمنج الذي لم يتحمس لها . في حين وافق سائر الملاحين ترحيبين بهذا التغيير . وعندئذ قال دريوينت للمضيفة :

ـ أما أنت فستشاركيننا هذه السهرة بطبيعة الحال ؟

فلما لم تسرع بالاجابة استطرد !

ـ سيكون هناك فتيات غيرك وسنرقص جميعا .

ـ آسفة .. انني أفضل التخلف هنا بالاستراحة .

ـ أوه . انك تحبين مثل هذه السهرات .

والح عليها . فقالت في إصرار :

ـ كلا .. انني أميل الى العزلة في هذا المساء .

واحتج دريويت عليها موضحا انها لايجب أن تخرج على اجماع أفراد الطاقم .. ولاحظ ليمنج انها تكاد تنفجر غاضبة . فتدخل قائـلا :

ـ ولماذا لاتتمتعين معهم بهذه السهرة ؟.

ـ إذا كنت ترى ذلك ياكابتن ، فلا بأس .

وهلل زملاؤها فرحا بقبولها . واخبرهم دريويت بأن هناك سيارة ستكون معدة لهم في تمام الساعة السادسة .

وتوجه ليمنج الى المدينة بعـد ظهر ذلك اليـوم ، وعاد الى الاستراحة في نفس الوقت الذي كانت تغادرها فيه السيارة التي تحدث عنها دريويت ، مقلة الطاقم . وبينما هو يقطع الوقت في القراءة اذ اقبلت عليه ليبي في ثوبها الأبيض ، فرفع عينيه عن الكتاب الذي كان بين يديه ، وحملق فيها مندهشا وقائلا :

ـ حسبت أنك ذهبت معهم ؟. .

ـ لقد اختفيت عن انظارهم ، لقد وافقتهم لأنك أردت هذا حلا للاشـكال .

ـ فعلا . ومحافظة على السلام .

ـ لماذا لايكون من حقي أن أقضي ليلة هادئة ؟.

فضحك ليمنج . ورآها تبتسم له ثم تولى وجهها شطر الباب قـائلة :

ـ سأستبدل ثيابي .

ـ سنلتقي في ساعة العشاء .

وعاد الى ماكان فيه من قراءة . وسمعها تقول له بالفرنسية :

ـ يسعدني ذلك .

وجلسا الى مائدة العشاء التى أعدت لاثنين . وتجاذبا أطراف الحديث في ود ظاهر . وأطرى زينتها وذوقها ، ونسي كما نسيت هي ، أنه الكابتن وأنها المضيفة .

ودعاها الى تناول كأس من النبيذ مع طعام العشاء ، وراح يستمع الى ثرثرتها التى انسته كل ما مر به فى الطريق بين الآزور وبرمودا ، وأزالت ما كان عالقا بنفسه من آثارها ، وشعر بأنه والعالم على أتم وفاق .

وانتقلا الى الغرفة المجاورة حيث قدمت لهما القهوة . وجلس يتأملها وهى تعد له قدحه . وأدرك ماتتمتع به من فتنة وجمال . وأقبلت عليه بقدحه ، وقالت وهى تجلس على الأريكة بجواره :

ـ لو كنت أعرف أن الطيران هكذا .. لفكرت فى العمل به من قبل .

فضحك قائلا :

ـ ألم تجدى فيه مشقة ؟ ان عملك يتطلب منك الوقوف على قدميك وقتا طويلا .

ـ بينى وبينك ، لقد قضيت معظم الوقت نائمة .

وماذا كان شعورك عندما تأزمت الأحوال عبر الأطلنطى ؟.

ـ لم يتطرق الى نفسى ادنى شك فى قدرتك على التصرف ولذلك تجدنى قد استسلمت للنوم غير قلقة .

وتأثرت نفسه بما سمع . هذه الثقة التى لاحد لها فى كفاءته ملكت عليه لبه . وهذه الفتاة التى كان يراها فاتنة مرحة . تطوى بين جنبيها ماهو أبدع من ذلك وأفضل . وفاضت نفسه بشعور من الميل اليها . وبدأ يسرد على مسامعها تاريخ حياته فى القوات الجوية . ثم تاريخ حياته السعيدة مع زوجته ميلانى ، محتفظا بتفاصيلها تقديسا لها . وحكت بدورها قصة حياتها . كانت الابنة الوحيدة لوالدها الطبيب . وكانت مخطوبة لطيار بالقوات الجوية قتل فى عملية من العمليات . وكانت قد ملت عملها المكتبى ،فرات أن تعمل كمضيفة بالرغم من معارضة والدتها . وختمت حديثها قائلة :

وكأنني كنت أعرفك طوال حياتي ... وهذا لا يروق لى ؟ ثم ران عليهما صمت استمر بضع دقائق .

وكانت هى البادئة بالحديث لتقطع عليه سيل أفكاره ، فرنت اليه بعينيها واقتربت منه قائلة :

ـ ميشيل ، انك غريب الأطوار !.

وأدرك ليمنج مافى لهجتها من تعمد لرفع الكلفة بينهما ، ولمس مكامن الخطر فى نبرات صـــوتها . والتزم جانب الصمت ليتيح لنفسه فرصة التفكير فيما يجب أن يتصرف به . وأخيرا قال لها :

ـ ولماذا ؟.

ـ لانك تنحو فى معاملتك لى نحو المنصرف عنى .

ـ لست ارى فيما تقولين مايعنى انى غريب الأطوار .

ـ غريب الأطوار بالنسبة لى . بل ان تعمدك هذه المعاملة يزيد الأمر وضوحا .

وماهو هذا الأمر الذى يزداد وضوحا ؟.

ـ انك معجب بى .

ولم يحاول ليمنج أن ينكر ذلك ، بل شعر بأن عبئا ثقيلا قـد أزيح عن صدره . فقد أعجب بها منذ أن وقع نظره عليها لأول مرة بالطائرة . ثم ازداد اعجابا بها فى برمودا . وهاهى تأسر لبه بانتهازها أول فرصة لتنزل به من حالق خياله الى عالم الواقع والحقيقة ، فتخرجه من تردده ومما يشعر به من حرج . وتأمل عينيها قائلا :

ان أى رجل تأسر لبه اية فتاة لها مثل فتنتك ، اذا ماكان بعيدا عن منزله منفردا بها . وبالذات فى مكان هادىء مثل هذا . وحدة وجمال وسكون وخيال .

ـ لست انت هذا الرجل . لاتتظاهر بما ليس فيك .

لم أعرف انك تسبرين غور الرجال هكذا !.

انهم الشىء الوحيد الذى اتقن الالمام به . اننى لااجيد التحدث فى الكتب او فى السياسة او فى الدين . ولكننى اعرف الرجـال على حقيقتهم بمجرد التقائى بهم .

وراح ليمنج يقلب الأمر على كل وجوهه لعله ان يجد تعليلا لكل هذا الذى يمر به ، بينما جلس كل منهما يتأمل الآخر . انه لم يدر بخلده من قبل ، انه سيأتى هذا اليوم الذى يجلس فيه الى فتاة اخرى ، ويستمع الى ما إستمع اليه من ليبى . وهاهى قد بدات فعلا تستحوذ على مشاعره وتدفعه الى مجاراتها فيما ترمى اليه . وأدركت بلماحيتها ما يجول فى خاطره فقالت له :

ـ لاعليك . أراك قلقا مشغول الفكر . لقد أعجبت بك أناالأخرى منذ أن وقع نظرى عليك لأول وهلة .

ووضعت يدها على يده ، وازدادت اقترابا منه ، وقدمت له شفتين أودعهما قبلة عبر بها عما تملك نفسه من شعور .

***

وتسلم ليمنج أمر العودة الى الوطن من مطار بناما يوم الخميس ثم سلمه بعد اثنتى عشرة ساعة الى كيلستون فى برمودا . وكانت الطائرة التى عاد بها هى ايزى زيرا . وسأله كيلستون عن حالتها ، فطمأنه وأكد له أنها بخير .

ولم يكن ليمنج فى حالة معنوية جيدة ، لمجرد تصوره أنه سيقضى يومين فى برمودا الى جانب ليبى . أما كيلستون فكان فى حالة معنوية مرتفعة . وكان يترنم بلحن خفيف مرح . وسأله ليمنج عن ماهية هذا اللحن ، فأجابه بأنه لحن تشيكى شعبى ، وانه جد معجب به . فقال له ليمنج متندرا :

ـ يلوح لى انك قد جاوزت الغلاف الأرضى صعودا .

فابتسم كيلستون قائلا :

ـ بكل تأكيد .. تأمل معى هذا .. ثم أشار الى قائمة الأرصاد أمامه مستطردا :

ـ سرعة الرياح اربعون عقدة على ارتفاع ١٩٫٠٠٠ قدم .

وتأمل ليمنج معه التقديرات الجوية من برمودا الى الآزور قائلا :

ـ الأحوال الجوية فيما يبدو لاتبشر بخير .

ـ انها ليست بهذه الدرجة من السوء .

ـ ان كل شىء سيبدو لك تافها بعد هذا الاعصار الذى صادفك .

الجزء الرابع

قلب العاصفة

٢٦ نوفمبر – ٢٧ نوفمبر

وبرزت الطائرة ايزى زيرا من بين السحب القاتمة الى صفاء الليل ، عندما بدات تطير على ارتفاع منخفض فى اتجاه سان ميجويل ، وقد ارتفعت ذرى جبالها شامخة صوب السماء وتعلقت انظار كيلستون بشعاع الضوء ينفذ من بين جنباتها . ثم يزداد وضوحا وجلاء حتى يصبح كتلة واحدة متوهجة ، تتجمع فى بونتاد لجادا .

وتمثلت له كارينا بظهورها المفاجىء فى حياته ، فى هذه الجزيرة التى بدت امام عينيه شامخة بجمالها ساطعة بأضوائها. لقد دخلت كارينا فى حياته فملأت عليه فراغها . ثم راح يفكر فى بلاده وفى تغييرها لأصدقائها ولأعدائها كما يغير الاطفال الدمى التى يلهون بها .. وفى تلك الحرب التى انتصرت فيها وخسرت الدافع الاسمى الذى دخلت الحرب من اجله ، ان القوانين والمبادىء ، والاخلاق والخير والشر ، وبناء المجتمع ، تختلف باختلاف البلاد والناس .. وباختلاف الزمان والمكان .

أما وقد استقر بطائرته على ارض المطار ، وهدأت نفسه مع هدوء الليل وسكنت اليه ، فلم يعد يشغل فكره الا الاسراع بقطع ستة الأميال التى تفصله عن كارينا .

ووجدها فى انتظاره كما عودته عند مدخل الفندق . وما أن توقفت به السيارة حتى هبطت الدرج لتقابله فى منتصف المشى ثم تضع ذراعها فى ذراعه ، لتعود به الى مكتب الاستقبال .

وقبل أن يتسلم مفتاح غرفته من بانشينى ،الموظف المختص أقبل عليه مستر أجوستينو مدير الفندق محييا مرحبا ، عارضا خدماته .

ــ كابتن كيلستون . هذا شرف عظيم ، متى نبعث اليك بالعشاء فى غرفتك ؟ ثم قدم اليه مفتاح غرفته بنفسه مبالغة فى تكريمه والحفاوة به .

ــ بعد ساعة ، وشكرا ، وانصرف كيلستون مشيعا بأحسن مما قوبل به من تحية وابتسام . وارتقيا الدرج على مهل ذراعا فى ذراع واتجها معا الى الغرفة المخصصة للكابتن . وفتح الباب لتسبقه الى داخلها ، وتبعها ثم أغلقه فى هدوء وثبات .

وجلسا يتناولان عشاءهما على مهل ؟ بينما كانا يتجاذبان أطراف الحديث ، هانئين سعيدين متفاهمين ، تلتقى آراؤهما وتفترق فى كل مايعرضان له من مواضيع ، فى انسجام ووعى مشترك ومع أقداح القهوة التى قدمت لهما ، سألت كارينا كيلستون وهى تتأمله بنظراتها عبر المائدة .

ــ ماذا بك يا مارك ؟ . صارحنى بحقيقة الأمر ؟ .

وكان صوتها هادئا رقيقا حانيا فيه مسحة من الحزن .

ــ أصارحك بما ذا ياكارينا ؟ وكأنه لم يكن يريد ان يعكر صفو هنائهما .

ــ صارحنى بما يضايقك ؟ .

ولمس فى لهجتها شدة حدبها عليه وانشغالها بامره .

ـ يقولون ـ ثم توقف عما كان بسبيل التحدث به ـ انها مجرد أقوال لم تصل بعد الى أن تصبح قرارا ـ ان الأمر لم يتقرر بعد فى الواقع ..

ـ هات ما عندك ، هيا لا تتردد ..

ثم استطردت :

ـ قد لا يسمحون لك بالتخلف هنا ؟ .

وبذلك اتمت نيابة عنه ما كان بصدد الافضاء به اليها . وبعدها أطرقت قائلة :

ـ افهم ذلك ..

وبعد أن أشعلت لفافة تبغ ، سألته :

ـ هل أنت المعنى بذلك دون الآخرين ؟.

ـ أوه كلا . ان الأمر ليس بهذا الوضع . ولن يكون هذا القرار بسبب علاقتنا .. كلا ـ انه مؤسس على الرغبة فى الاقتصاد فى النفقات . انه قرار عام لمصلحة الشركة المادية .

ـ ترى ، هل سيتم تنفيذ ذلك ؟.

ـ لاأحسبهم يجازفون بهذا ! ان المسافة طويلة . أطول من أن تقطع دون توقف . لقد نصحتهم وأبديت لهم وجهة نظرى . ان يوما كاملا بأسره من الطيران المتواصل فيه ارهاق للطيارين .

ـ فلنفترض انهم لن يستجيبوا الى نصحك ، فمتى يتم التنفيذ ؟ .

ـ اعتقد ان تنفيذ ذلك يستغرق بعض الوقت ؟.

فقالت باسمة ، وهى تحدق النظر فى نيران المدفأة :

ـ اذن فساهدأ بالا .. ولو الى حين ، أما انا فلدى أنباء لابأس بهـا .

واخرجت من حقيبة يدها خطابا حكوميا ورد لها من مكتب الاجانب يطالبها ببعض الاستيفاءات لاستكمال بحث طلبها السابق تقديمه منها بدخول انجلترا . ولوحت به فرحة مسرورة وهى تقول :

ـ وعندئذ سنجتمع معا أياما وشهورا وأعواما طوالا . لاساعات قليلة كالتى نقضيها معا هنا . انها اول مرة يصلنى فيها شىء من هذا القبيل بعد أن تواترت الردود من قبل « بلا » .

ثم عادت فأودعت الخطاب حقيبتها .

وأقبل صباح اليوم التالى منذرا برحيل كيلستون فى الساعة المعينة له . واستقل السيارة ووقفت تودعه عند باب الفندق ملوحة بيدها محافظة على هدوئها وابتسامتها .

وما أن غابت السيارة عن عينيها ، حتى زايلتها ابتسامتها وعادت واجمة ساهمة الى غرفته تجمع ماتبقى من حاجياتها . وبينما كانت واقفة الى النافذة شاردة الذهن سمعت طرقا على الباب الذى فتح فى اللحظة التى استدارت فيها ليقع نظرها على حلة الطيران الزرقاء فخيل اليها أنه عاد لسبب ما . ولكنها أدركت خطأها عندما رفعت عينيها الى الوجه المكتنز للكابتن الذى سيحتل الغرفة استعدادا لرحلة الجنوب . وسمعته يقول لها معتذرا :

ـ الكابتن فيورستون .

ـ آسفة : لم أتوقع مجيئك مبكرا هكذا .

ـ انها مأمورية خاصة . من هنا الى برمودا وبالعكس ، فقالت له :

ـ آه . هذا هو السبب اذن .

ـ آسف لازعاجك ؟

ـ كلا . . لقد كنت فى طريقى لمغادرة الغرفة .

وخرجت الى الدهليز وسمعته يغلق الباب ويشرع فورا فى اعداد نفسه لساعات الراحة المخصصة له .

الجـزء الخـامس

نهاية ربع الدائرة
الشمالى ـ الغربى
٢٧ نوفمبر ـ ٢٠ ديسمبر

ـ ١ ـ

وبعد أن أمضى ليمنج يومين هادئين فى برمودا ، تبع كيلستون عائدا الى لندن . ولم تكن الأمور بالفة ماتصوره من سوء ، ورأى انه كان مبالغا فى تصوره وخياله .

ولم تضايقه ليبى كما توقع ذلك منها ، لمسة عابرة من يدها على مائدة الطعام من حين لآخر ، وقبلة مختلسة عند باب غرفتها بمحطة سان ميجويل الليلية ، هذا كل ما اثقلت به عليه أثناء رحلتها ـ أما فيما عدا هذا فقد كان هو ، هو ، الكابتن ليمنج قائدا ورجلا .

وما أن هبط بالطائرة فى مطار لندن ، حتى كانت مغامرته فى باناما فى تقديره بمثابة العاصفة العابرة التى تزول وتنقضى غير مخلفة الا آثارها المؤسفة .. فقد كانت عنده حدثا عارضا لن يتكرر ولم يعد له وجود فى كيان حياته .

وفوجىء بليبى تقـول له وهما بغرفة العمليات محاذرة أن يسمعها أحـد !

ـ سأتدبر الأمر حتى تكون خدمتى المقبلة معك ياعزيزى ، وقبل

ان يتمكن من مناقشتها فى ذلك تركته والابتسامة تعلو وجهها .

والتقى بمستر فيتش عند مكتب بريد الشركة . وحياه المدير قائلا :

ـ هاللو ، ميشيل . بلغنى مالاقيت من عناء .

ـ أجل ، أجل .

ـ أمر يؤسف له .. ولكنك قمت بعمل مجيد بتغلبك على ماصادفك من ظروف قاسية . ولقد كتبت للشركة لتثنى عليك وتقدم لك هذا .

ـ اننى لم أتعرض من قبل لما تعرضت له فى هذه الرحلة . واعتقد اننا نجونا بأعجوبة . ارجو أن تضع الشركة توصيات المهندسين موضع الاعتبار .

ـ فعلا .. فعلا .. ولكننا ان نستطيع تغيير التصميمات دفعة واحدة .

وكان ذهن ليمنج منصرفا فى الواقع الى مشكلته مع ليبى التى لاتريد أن تعتبر مغامرته معها حدثا عارضا . ثم سمع فيتش يسر اليه :

ـ كيلستون غاضب متذمر . لقد عملت بنصيحتك التى وافق عليها جميع زملائك فيما عدا كيلستون . ان رئيس مجلس الادارة فى غاية السرور . وسيتم الغاء استراحة الآزور فى نهاية الاسبوع الجميع موافقون الا كيلستون .

وانتظر فيتش تعقيب ليمنج ، ولما لم يسمع منه شيئا .. استطرد قائلا :

ـ ولكنك تعرف سبب عدم موافقة كيلستون ؟.

ولما لم يسمع منه ردا أكثر من حركة العارف ببواطن الأمور بدا يدافع عن فكرة الغاء المحطة محاولا أن يحصل على تأييد عملى من ليمنج لامكان تنفيذها دون مخاطرة بارهاق الطيارين . وعلم منه أنه شعر فعلا ببعض التعب .

ثم انتقلا للحديث عن كيلستون وعن ترك زوجته له . وعبر ليمنج عن امله فى أن تتحسن الاحوال بين الزوجين فى آخر الأمر ، ولكن فيتش ابدى تشاؤمه من امكان ذلك ، راجيا منه ان يوفق فى القيام بشيء لاصلاح ما بين الزوجين بالرغم من ذلك .

وحرك حديث فيتش فى نفس ليمنج الشعور بواجبه نحو كيلستون . وعلى طول الطريق الى منزله لم يفكر الا فى هذا البيت الذى يراه على شفا هاوية من الانهيار . وانساه هذا الموضوع مشكلته الخاصة مع ليبى ، التى كانت تملأ عليه ذهنه منذ أن أعلنت له عزمها على أن تلازمه فى رحلته التالية ، فكشفت بهذا عن تصميمها على الا ترى فى علاقته بها علاقة عابرة كانت لها ظروفها الخاصة .

وبعد أن بادل زوجته ميلانى استقبالها الحار له ، عاد الى حالته من الاستغراق والتفكير مما حدا بها أن تسأله :

ـ ماذا بك باميشيل ؟ هل انت متعب ؟.

ـ كلا . . اننى مشغول الفكر .

ـ بماذا باعزيزى ؟.

ـ هل تذكرين انك صارحتنى فى يوم ما باننى لا افكر الا فى نفسى ؟ واننى لاأهتم بغيرى من الناس ؟.

ـ اوه . لاعليك من هذا . قلت ذلك فى حالة غضب .

ـ كلا . . لقد كنت على حق .

ـ ان الناس جميعا هكذا .

ـ وهذا ماكنت افكر فيه . لدينا موضوع كيلستون وزوجته مثلا . ان احدا مالم يتحرك ليتدخل بينهما لانقاذ حياتهما الزوجية.

ـ ترى ماذا يمكن عمله فى هذه الظروف ؟.

ـ ان اقل مايمكن أن يفعله المرء هو المحاولة . وليكن بعد هذا مايكون .

ـ ومن ذا الذى عليه أن يسعى بين كيلستون وفيرونيكا ؟.

ـ انا . . سأحاول ذلك .

ونهض ليمنج مبكرا من فراشه ، وقام هو باعداد طعام الافطار

لزوجته واطفاله ، فسرت ميلانى بذلك ودهشت فى الوقت نفسه ،
واستفسرت منه عن السر فى كل هذا النشاط . فقال لها :
ـ اريد أن انصرف مبكرا فى هذا الصباح ؟.
ـ الى أين ؟.
ـ لقد أخبرتك بذلك فى الليلة الماضية . انى ذاهب لمقابلة كيلستون .
ـ ولكنك فى أول يوم من أيام عطلتك ! وامامك اسبوع بأكمله .
ـ أعرف ذلك . ولكننى اخشى ان يسعى من جهته للانطلاق سريعا . لأنه قد تقرر الغاء المحطة الليلية فى آخر الاسبوع .
ـ وماذا بوسعك أن تقوم به ؟.
ـ سأصارحه بكل مايقال فى هذه الظروف . انه لم يجد من يسدى اليه النصح .
ـ لقد هجرته فيرونيكا فعلا . انك تحركت متأخرا .
ـ كلا . . مادام الطلاق لم يقع بينهما .
ـ على رسلك .
وانطلق بسيارته ولم تكن الساعة قد بلغت الثامنة بعد . انطلق وكله حماس وأمل دون أن يدور بخلده شىء عن مدى استجابة كيلستون لتلك اليد التى تمتد لمساعدته .

وكانت ميلانى تتوقع له الفشل فى مهمته ، علاوة على أنها لم تؤمن بما هو مقدم عليه . ولم يعد ليمنج الى منزله الا بعد الساعة الثالثة ، وجلس يتناول طعامه دون أن ينطق بكلمة واحدة . ولاحظت زوجته انه يتفرس فى نار المدفأة ساهما . فقالت له أخيرا :
ـ هات ماعندك . خبرنى بكل ماكان .
ـ لاشىء .
ـ الم تقابله ؟.
ـ قابلته . . انه يعيش فى غرفة واحدة لا اثاث بها .
ـ هكذا وحيدا بعيدا عما الفه من حياة منزلية .

ـ يلوح لى أن هذا لايعنيه فى كثير أو قليل . وهو قانع بصورة فوتوغرافية للفتــاة تونس وحدته . انك تعرفين أنها لن تستطيــع دخول انجلترا ».

ـ أجل . أعرف هذا . ولكنك غامض لاتفصح ولا تبين ».

ـ أنا نفسى عاجز عن تحديد ماأقول .

ـ ماذا قلت له ؟ وماذا قال لك ؟.

ـ قلت له مايقال فى مثل هذه الأحوال . الناس يتقولون .. والاشاعات التى تحيط به كثيرة .. وانه بدأ يفقد ثقة الناس فيــه وانه بتصرفاته هذه يحطم حياته ومستقبله .

ـ وكيف تقبل هذا منك ؟.

ـ تقبله ضاحكا . ان الرجل قد فقد عقله ، انه لايستحى ولا يعتقد انه يرتكب خطأ ما انه غارق الى ذقنه فى لجة من ســعادته الموهومة . انه يضع أمام عينيه قناعا من الأوهام .

ـ مادام سعيدا ، فلن يرى شيئا غير سعادته .

هذا ماتحدث به فعلا . وزعم انه جد مغرم بالفتاة . وصارحنى بأنهما متفقان فى كل شىء ، وانها تكمل ذات نفسه فعلا . وقال انها نصفه الآخر بكل مافى هذه الكلمة من معنى . وأنهى حديثه معى قائلا ، انه وجد سعادته أخيرا وانه قد عقد العزم على التمسك بهــا الى آخــر المدى ».

ـ ٢ ـ

ـ صباح الخير ، ياكابتن .

نفس الكلمات بنفس اللهجة المتحفظة . فاستدار ليمنج وهــو فى طريقه الى الطائرة وتأمل مصدر الصوت ورآها بلحمها ودمهــا تستعد لتشاركه رحلته كما قالت . وبادلها تحية الصبــاح بلهجة عــادية ».

واقبل عليه المضيف ، مستر بولينجى ، متحيياً معلنا ان كل شيء معد للقيام بالرحلة . واستفسر من قائده عما اذا كانت الاستراحة الليلية قد ألغيت فعلا ، فأجابه بالايجاب معلنا انهم سيطيرون رأسا الى برمودا .

وبعد الانتهاء من الاجراءات المبدئية ومراجعة البيانات الضرورية احتل ليمنج مقعده وتأمل الضابط الأول الجالس الى يمينه قائلا :

ـ لا أعتقد أننا عملنا معا من قبل ؟.

ـ بلى . اسمى كوكروفت ياسيدى .

ـ هل أنت حديث عهد بالخدمة ؟.

ـ لقد شاركت الكابتن فيريس فى رحلتين .

ـ حسن .

ـ وانفردت بقيادة الطائرات فى العام الماضى .

ـ فى هذه الشركة ؟.

ـ كلا . فى شركة انسونز . بين بلاكبول وجزيرة مان .

ـ طائرة صغيرة وطريق قصير .

ـ ان المسافة لاتزيد فعلا عن خمسين ميلا .. ولكن كثيرا ماصادفتنا المتاعب نتيجة لرداءة الطقس .

وفى الطريق بين لندن ومدريد ، دأب ليمنج على اسداء النصح والارشادات الى ضابطه الأول . غير أنه لاحظ أن الضابط لا يدون شيئا مما يستمع اليه ، بل ويكاد ، لو أتاح له ذلك ، أن يوجه هو نفس هذه الارشادات وأكثر منها اليه .

وشقت الطائرة طريقها غير عابئة بما بين الكابتن وضابطه من حديث ، حتى هبطت مطار مدريد فى الساعة المعينة لها بجدول التوقيت . ثم استأنفت رحلتها الى جزر الآزور فى جو هادىء صحو .

وانتهز ليمنج هذا الهدوء ، فراح يقلب موضوع ليبى شالونير

على كلّ وجوهه . ولم يتبين ما اذا كان مسرورا بطيرانها معه أم لا؟ الا انه يستطيع أن يطمئن الى تصرفها الرصين كما بدا له ابان المراحل الأولى للرحلة .

وبينما كان جالسا فى قمرة الطائرة ايزى فوكس ، يستمع الى البيانات التى يقرأها كوكروفت قبل ادارة محركاتها فى مطار جزر الآزور ، اقبلت ليبى تعرض على ليمنج فى دلال ، « مرطبات ، حلوى ، سجائر ، مسليات » فتأملها فزعا من هذا التغيير المفاجىء فىمسلكها أمام أفراد الطاقم وأثناء الخدمة بالذات .

ولما تمادت فى الحاحها ود لو يقتلها غيظا . واستأنف كوكروفت قراءة البيانات ، واضطر ليمنج أن يمد يده للسلة التى تحملها ويتناول قطعة من الحلوى حتى تنصرف وتعود الى عملها . فقالت له وهى تتأهب للانصراف فى دلال وتأدب مفتعل .

ــ شكرا ياسيدى .

وانطلقت الطائرة ايزى فوكس لتقطع الألفى ميل بين جزر الآزور وبرمودا . وتولى ليمنج قيادة الطائرة اربع ساعات طوالا ، لم ينقطع خلالها عن التفكير فيما يشغل فكره للخروج من هذا المأزق . المأزق الذى يجد نفسه فيه نتيجة لاصرار ليبى على رفع الكلفة بينهما .

وعرض عليه كوكروفت أن يتولى القيادة عنه بينما يخلد للراحة قليلا . واخيرا قبل ودفع مقعده الى الخلف واستلقى عليه مغمضا عينيه مستعرضا الأمر دون أن يشغله شاغل . وتبين له بجلاء أن ليبى لم تتعمد ان تستأنف الطيران معه دون ان يكون لها من ذلك غرض معين . وانها لاترى فيما كان بينهما فى باناما حدثا عارضا أو نزوة طارئة . وان عليه أن يتصرف بحزم ازاء ذلك . وما أن استقرت بهم الطائرة على أرض المطار فى برمودا ، حتى كان قد حــزم أمره وانتهى الى مايجب أن ينتهجه من سلوك مع ليبى شالونير . ولاذ بفراشه متعبا مكدودا بعد طيران دام ٢٢ ساعة .

ولم يستيقظ مبكرا فى صباح اليوم التالى ، بل تجاوز به نومه

ساعة الغداء. وغادر الفندق الى هاميلتون لتناول وجبة خفيفة مع قدح من القهوة وبينما كان يجتاز حديقة الفندق عند عودته ، وقع نظره على ليبى تضطجع فى استرخاء على أحد المقاعد . فنادته قائلة :

ـ ميشيل !. جو بديع وشمس مشرقة .. ماذا ترى فى كل هذا الجمال ؟.

فأتاها يمشى متحفظا جادا .. وما أن اقترب منها حتى قال فى هـدوء :

ـ ليبى ، أريد أن أتحدث اليك فى أمر هام .

فرنت اليه بعينين عابثتين ، وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة كلها دلال واغراء . فقال له امحتدا :

ـ ليبى ، استمعى الى ماسأقوله لك . مادمت تعملين تحت امرتى ، فلست أحب منك أن تتصرفى بغير ما يتصرف به سائر أفراد طاقم الطائرة .

ـ لست أفهم ماتعنى .

ـ ليس من دأبى أن اتقبل بحال ما رفع الكلفة بينى وبين اى ممن يعملون تحت قيـادتى فى الطائرة . بما فيهم انت .

ـ سمعا وطاعة . ولكن الآن .

ـ الآن ، ستستمع المضيفة الى مايوجهه اليها قائد الطائرة من نصح وارشاد .

ولكنها لم تقابل هذا منه الا باستهتار ونزق . وود لو يصفعها ليعيد اليها رشدها . وسمعها تقول له فى غير اكتراث .

ـ ماذا تحـاول ان تعظنى به ؟ لماذا لاتوفر على نفسك هـذا العنـاء ؟.

ـ اصغى الى جيدا .. اننى اعترف بأنك استحوذت على مشاعرى فى باناما . وهذا ما يتعرض له أى رجل فى مثل هذه الظروف . ولكنك يجب أن تعلمى بأن ماكان بيننا لن يتكرر مرة أخرى .

وبدأت تضحك فى دلال قائلة :

ـ بديع ، رائع . هذا هو السر فى انك لم تقاوم ياميشيل وانك نطقت بما تحب كل فتاة أن تسمعه من الرجل .

ـ لقد كشفت لك عن سريرة نفسى وعن عزمى . وهذا ماانتهيت اليه فعلا . هل تسمعين .. لست أحب أن يتكرر ماحدث فى الطائرة عندما أقبلت تعرضين الحلوى فى دلال .

ـ أو هـــذا كل مافى الأمر ؟ ميشيل ، ألا ترى ، ألا تفهم ؟ ثم اخفت وجهها بين يديها منتحبة باكية .

ورق لحالها قائلا :

ـ انى جد آسف يا ليبى . لم اقصد الاساءة اليك . ولكننى كان يجب ان اصارحك بما صارحتك به .. إن النظام هو النظام ثم قدم لها منديله تكفكف به دموعها .

ـ لم يدر بخلدى ان سلوكى يضايقك . لقـــد اردت فقط ان اثبت لك أن روحى المعنوية مرتفعة بالرغم مما تعرضت له من جهد طوال ساعات الخدمة فى الطائرة .

واسقط فى يده ، ولم يدر ماذا هو قائل . لأنه لم يدخل فى تقديره أن يفاجأ بهذه الدموع المنهمرة . وآثر أن يلوذ بالصمت حتى تهدأ قليلا . ثم رأى ان يواصل ما بدأه .

ـ ان الموقف جد معقد ، ان وضعنا غير طبيعى .. انه وضع شائك شاذ .

ـ هذا الفارق الكبير بينك وبينى ؟ بين الأمير وبين سندريللا ! بالسندريللا المسكينة !.

ـ ان الأمر لا يتعلق بشخصى او بشخصك .. لقد أسأت فهمى انها ظروفنا . ظروف كل منا .

وكفت عن البكاء وعادت لتضحك من جديد . فاستطرد قائلا :

ـ ان ماأريد ان اقنعك به ، هو أن ماكان بيني وبينك قد انتهى امره . لقد كانت نزوة طائشة فقدت فيها عقلي ..

ـ ولن تعود الى سلوك هذا المسلك مرة أخرى . انتهينا . لقد ساعدتك على اتمام ماكنت تريد أن تقنعني به .

ووقف الى جانبها ساكنا . ثم قال لها أخيرا :

ـ أو هـــذا كل ما تستطيعين أن تجيبي به على ما تحدثت به اليــك ؟.

ـ لقد سمعت ووعيت خطابك ياسيدى الكابتن .

وما أن سمع منها هذا ، حتى ادار لها ظهره فجأة ، وولى وجهه شطر الفندق . وشعر بالارتياح لأنه أزاح عن صدره ماكان يجثم عليه . ورضى عن نفسه التى اعاد اليها اعتبارها وكيانها . وفكر في كيلستون الذى لم يستطع أن ينقذ نفسه قبل أن يتردى فيما تردى فيه .

ولم تخرج ليبي في سلوكها معه اثناء اقامتها في برمودا ، عن من الاطار الذى رسمه لها . وكانت تصرفاتها فوق مستوى الشبهات واللوم .

وتطرق الى سمعه بعــد ذلك أن كوكروفت بدا يهتــم بأمرها . ووصل الى علمه مشاركته لها في السباحة وفي السهرات الليلية في نوادى هاميلتون .

وتخلص ليمنج من كل قيوده ، وأحس انه استعاد حــريته . والتقى بفيريس الذى دعاه ليشاركه الشراب . ومع الكؤوس الدائرة تشعب الحديث بينهما ، وتطرق الى ماصادف ليمنــج اثناء طيرانه السابق من حادث كاد أن يودى به وبركاب الطــائرة . ثم انتقــلا الى الحديث عن حالة طائرات المارلبورو وما تحتاجه من اعادة النظر في تصميم اجهزتها . وأخيرا قال فيريس معقبا :

ـ انك تعرفني على حقيقتي . اغنم من الحاضر لذاته . ولاتشغل نفسك بماضي الزمان . ودع المستقبل لما قدر لك فيه .



ـ اذن فلتأمر لي بكأس قبل أن يصبح الحاضر ماضيا ».

فضحك فيريس وأمر لهما بكأسين من شراب « توم كولينز »

وبعد أن انصرف فيريس ، شعر ليمنج بالوحدة لأول مرة بعد أربع سنوات طوال تردد فيها على برمودا . ولم يجد مايفعله غير التنقل بين صالونات الفندق وقاعاته .

ورحب بوصول الطائرة ايزى زيرا من انجلترا ، والتى كان مفروضا أن يمضى بها مواصلا رحلتها الى بناما .

وكانت رحلة استغرقت اثنتى عشرة ساعة فى جو هادىء وتحت سماء صافية . وهبط بالطائرة فى المطار هبوطا ميسرا سهلا . ثم توجه الى غرفته بالاستراحة سعيدا منشرح الصدر ، أشد ما يكون رغبة فى النوم . وما أن تناول عشاءه واحتسى قدحين من الجعة حتى القى بتحية المساء الى الملاحين وصعد الى الطابق الأعلى ، حيث استغرق فى نوم عميق بعد أن استلقى على فراشه بدقائق قليلة .

واستيقظ فى صباح اليوم التالى ليتناول طعام افطاره مع زملائه ، ويستمع الى مشاريعهم عن كيفية قضاء يومهم . وسمع فيما سمع خطط ليبى عن قضاء يومها مع كوكروفت فى كولان ، واتفاقها معه على قضاء الغد على شواطىء جزيرة توبوجا .

وكان جو اليوم حارا مشبعا بالرطوبة . فآثر أن يقضيه مستظلا بظل احدى الأشجار الكبيرة فى حديقة الفندق . وظل فى مكانه هكذا يقاسى من الوحدة ومن شدة الحرارة حتى حلت ساعة الغداء .. وجلس وحيدا الى المائدة ، لأن الجميع كانوا قد انطلقوا ينعمون بيومهم . وبعد أن فرغ من تناول طعامه ، ارتقى الدرج الى غرفته ليقضى ساعة القيلولة فى استرخاء واعتكاف هادىء ساكن . وحرك هذا الهدوء والسكون فى نفسه ، ما كمن من ذكريات عالقة بها عن مغامراته السابقة مع ليبى ، وايقظ فيه ما أراد له أن يموت وينقضى .

وفى الأيام الأربعة التى قضاها فى بناما قبل طيرانه الى انجلترا حرصت ليبى على تجنبه وكان كل ما يسمعه منها هو ، صباح الخير

يا كابتن عند طعام الافطار ، « ومساء الخير يا كابتن » عند طعام العشاء .

وبعد ساعة من رحيلهم عن بناما ، فى طريق عودتهم الى الوطن ، بدأت التقلبات الجوية فوق جامايكا واكفهرت السماء وتجمعت السحب . وراجع ليمنج مع كوكروفت جدول التنبؤات الجوية وخرج منه بنتيجه واحده . ان امامه طقسا كريها سيئا . ورأى انه يحسن به أن يحاول الهبوط فى مطار كنجستون .

وأصدر أوامره الى كوكروفت ضابطه الأول أن يراقب مؤشرات الارتفاع مع العناية بزوايا الانحراف لان الجبال تحيط بالمطار وتنتشر بالجزيرة فى كل مكان . كما طلب منه أن ينعم النظر عند الطيران على ارتفاع منخفض ، فى سطح الجزيرة حتى اذا ما اهتدى الى أنوار المطار أخطره بذلك .

ودار بالطائرة على هدى من المؤشرات بادىء ذى بدء ، حتى اذا ما اقترب من سطح الأرض اخطره كوكروفت بأنه تمكن من رؤية الأضواء . وبناء على هذا اتجه ليمنج بالطائرة ليدور دورة الهبوط مسترشدا بما قاله ضابطه الأول من ان هذه الأنوار تحدد ممر الهبوط .

وفجأة ، تبين ليمنج بنظر القائد المحنك المجرب أن هذا الممر المزعوم ، ما هو الا الشارع الرئيسى الكبير فى مدينة كنجستون . فصرخ .

الى أعلى بكل ما فى المحركات من قوة .

وزأرت المحركات وتمكن فى آخر لحظة من تفادى نتيجة هذا الخطأ الجسيم . ثم مال بالطائرة لينحرف بها عن قمم الجبال وذراها وبذل مجهودا جبارا حتى صعد بالطائرة فوق ارتفاع الامان . وما ان اطمأن الى نجاة الطائرة من كارثة محققة كانت ستتردى فيها نتيجة لخطأ كوكروفت ، حتى صرخ فى وجهه قائلا :

ـ ايها الدعى الجاهل الأحمق .

وكان يهتز غضبا ويتأمل راحتيه وقد تصببتا عرقا من فرط ما اجهد هما به . ثم اصدر أوامره بالاتصال ببرج المراقبة واخطاره بأن الطائرة ستهبط بالمطار البديل فى ناسو لرداءة الجو فى كنجستون .

ولم يكن الضابط الأول كوكروفت قد نطق بحرف واحد بعد ما وقع فيه من خطأ ، ولم يعقب بشىء على ما وجهه ليمنج اليه من الفاظ قاسية ولوم جارح . وما أن هبطت الطائرة ، ايزى أنكل ؟ بهم فى مطار ناسو وتوقفت محركاتها ، حتى قال فى صوت خفيض :

ـ اننى جد آسف يا سيدى .. جد آسف من كل قلبى .

ولم تطاوع ليمنج نفسه أن يعيره التفاتا . فنهض عن مقعد القيادة وهبط الى أرض المطار ، واتجه فورا الى غرفة العمليات لاعداد ما يلزم للرحلة التالية الى برمودا .

وهناك تظاهر بانه يرى ضابطه الأول لأول مرة . فالتفت اليه قائلا فى تؤدة متعمدة :

ـ انك لم تخبرنى يا مستر كوكروفت ، بماذا كنت تتصرف عندما تجابهك العواصف .. وأنت تقود طائرتك ؟ .

- ٣ -

ولم يشر ليمنج بشىء الى ما كان من أمر كوكروفت ، فى تقريره الذى قدمه عن الرحلة الى مدير الخطوط الجوية للشركة بمطار ناسو . وكان كل ما تحدث عنه ، خاصا بسوء الأحوال الجوية التى حالت بينه وبين الهبوط فى مطار كنجستون واضطرته الى مواصلة الطيران الى ناسو . أما عما بدر من كوكروفت عندما أرشده خطأ الى الشارع الرئيسى بكنجستون على انه ممر الهبوط بالمطار ، فقد أرجأ الاشارة اليه لحين كتابة تقاريره السرية عن العاملين معه عند عودته الى لندن .

وقرر انه سيضمن تقريره عن كوكروفت رأيه فيه وفى عدم صلاحيته اطلاقا . وتأكيدا لذلك واشعارا له برأيه فيه ، تجاهل

امره طوال الخمس ساعات التى قطعت فيهما الطائرة المسافة من ناسو الى برمودا ..

والتقى ايمنج بكيلستون ، لأول مرة منذ لقائهما الأخير بلندن ، لأنه كان عليه أن يسلمه قيادة الطائرة ايزى انكل . واستفسر منه كيلستون عن سبب هبوطه بمطار ناسو ، فأجابه بأن ذلك راجع الى سوء الأحوال الجوية فوق مطار كنجستون . وتبادلا بعض المعلومات عن حالة الطقس والرؤية ، ثم انتقلا الى الحديث عن الغاء فترة الراحة بجزر الآزور .

ولم يخف كيلستون امتعاضه من هذا القرار . واحتدت بينهما المناقشة ، ليمنج باعتباره صاحب الاقتراح وأول مؤيد له ، وكيلستون بصفته المعارض الوحيد له . وآثر ليمنج أن يحول دفة الحديث عن هذا الموضوع ، لأنه كان يعرف سر تحمس كيلستون للابقاء على هذه المحطة الليلية . ونجح فى ذلك فعلا . ولكنه فوجىء بكيلستون يسأله عن ضابطه الأول . ورأى الا يخبره بشىء عن تفاصيل ما كان منه لأن هو المسئول الأول والأخير عن كل ما يجرى بالطائرة . ولم يجبه بأكثر من انه شديد الثقة بنفسه لدرجة المغالاة فى ذلك . فضحك كيلستون وقال له ان ضابطه الأول على النقيض من هذا ، لأنه ضعيف الثقة بنفسه هياب وجل .

***

لم يستطع كيلستون أن ينال قسطة من الراحة ، لأنه لم يطمئن الى الاعتماد على ضابطه الأول فى التناوب معه فى قيادة الطائرة . علاوة على انه لما اراد ان يحاول ذلك فعلا ، ايقظه الضابط الأول بعد ربع ساعة من استرخائه فى مقعده . وفى الحق أن الرحلة لم تكن فى ساعاتها الأخيرة مريحة فعلا ، مما اضطره لاخطار مطار سانتا انا بالاستعداد لهبوطه بطائرته .

وقابله مدير الخط ، مستر رادلى ، عند الطائرة ثائرا منفعلا :

ـ ولكن ، لماذا اخترت هذه الجزيرة بالذات ، كان بوسعك مواصلة الطيران حتى لشبونة ؟.

وفى الحق كان كيلستون متعبا مجهدا ، فمضى فى سبيله الى غرفة العمليات غير عابىء بمدير المحطـة ، الذى كان يسرع الخطى ليلحق به مستطردا :

ــ كان من الممكن أن تجد ما تنشده من راحة فى لشـــبونة يا كابتن .

فتوقف الطيار عن السير فجأة . والتفت اليه سائلا :

ــ كم الساعة الآن يا مستر رادلى ؟ .

فتأمله المدير مندهشا وأجابه :

ــ لمــاذا ؟ انها العاشرة ! .

ــ بمعنى اننا سنصل الى لشبونة حوالى الساعة الرابعة صباحا مع فارق التوقيت . فاذا كان لنا أن ننال قسطا من الراحة ، فليكن هنا .. هل اتصلت بفندقى كاربراس وكاسل ؟.

فطمأنه رادلى بأنه قد أعد كل شىء .. وأردف قائلا بأنه من الممكن الغاء هذا كله ، ان فى ذلك من النفقات ما كنا فى غنى عنه .

وتظاهر كيلستون بأنه لم يسمع شيئا ، وقال له مؤكدا عزمه :

ــ سننطلق فى الثامنة صباحا .

ــ ثم مضى الى بهو الاستقبال حيث كانت كارينا فى انتظاره . واستقبلته قائلة :

ــ يا لها من مفاجأة ! .

ولـكنها لاحظت أنه متعب مجهد ، واستقلت معه السيارة الى الفندق ، وتأكدت مما لاحظته من حالة الارهاق التى بدت عليه عندما مال براسه فى غفوة على كتفها .

وعاونته على ارتقاء الدرج الأمامى الفندق وسمعته يقول لها :

ــ لست أدرى ماذا ألم بى . اننى لا استطيع ان اتحكم فى خطواتى ..

وما ان احتوتها غرفته .. حتى أسـند رأســه المكدود الى صدرها وراح يبثها غرامه ويؤكد لها حبه فقالت له :

ــ يجب ان تستلقى فى فراشك لتستريح .

ـ على أن توقظيني بعد ربع ساعة .
فأودعت جبينه قبلة حانية ، ووعدته بتنفيذ ما سألها اياه ثم استغرق في نوم هادىء عميق .

جلس ليمنج في حديقة فندق ساراسين ، نشطا قويا بعد أن قضى سبع ساعات في نوم عميق . وشعور بأنه راض عن نفسه لأنه لا يستغل ساعات راحته في اللهو والعبث كغيره من زملائه .
وها هو يجد راحته في تلك الجلسة التي يقضيها في الحديث مع ابلباي ، ملاح الطائرة ، الذي كان لا يرتاح الى سماع صوته من قبل .
وسمعه يقول له :

ـ اظن ان الأمر سينتهي بكوكروفت الى الزواج ، اذا ما استمر فيما هو فيه .
ـ يلوح لي انه يكثر من الاختلاط بالمضيفة .
ـ يا لها من فتاة . جذابة تسر الناظرين .
وحول ليمنج دفة الحديث الى شئون الطيران . فهو موضوع غير شائك بعيد عما يضني ولكنه لم يستطع في الوقت نفسه أن ينصرف بذهنه عن التفكير في ليبي شالونر .

اذ تملكه شعور قوي بأنه يفتقدها ويفتقد ثرثرتها . بل وبلغ به هذا الشعور حد افتقاده لنزقها وطيشها ومرحها . وانه ليأسف في تلك اللحظة بالذات على ما كان منه من محاولة التخلص منها .
وكان يتوق أن يعود ليتمتع بقربها . وشعر بالغيرة من اختلاط كوكروفت بها .

وحاول في اليوم التالي أن يظل مسيطرا على نفسه . واجتهد الا يفلت منه زمام اعصابه وهو يستمع الى مشاريعها العابثة مع كوكروفت عندما جلسوا جميعا الى مائدة الافطار ثم الغداء من بعد ذلك ، ورآها تتبسط معه .

ورأى ليبي ، بعد ظهر ذلك اليوم ، تغادر الفندق بمفردها الى هاميلتون لابتياع بعض ما ترغب في حمله الى انجلترا معها . وتبعها

من كثب الى المدينة . ولحق بها قبل أن تدخل أحد الحوانيت وتأبط ذراعها قائلا :

ـ ... ليبى ، ان لى حديثا معك .

فحملقت فى وجهه متظاهرة بالبراءة وهى تقول :

ـ أو حديث آخر يا كابتن ؟ ترى ماذا ارتكبت فى هذه المرة ؟ .

ـ لا شيء .. كل ما اريده ان يصفو الجو بيننا .

ـ وماذا جد من الأمور ؟ .

ـ انك لا تفهمين .. ان كاهلى مثقل بالكثير من التبعات .

ـ هذا يعنيك وحدك ولا يعنى غيرك .

ومشى بها حتى بلغ أحد المقاهى ، ودعاها للدخول معه . وبعد أن استقر بهما المقام حاول التفاهم معها مرة أخرى قائلا :

ـ الم يبلغك ما يتحدث به الناس عن كيلستون ؟ .

ـ وما شأنى انا بذلك ؟ .

ـ لا شأن لك بذلك . ولكن ..

ـ ولكن ماذا ؟ .

ـ ولكننى لا أريد أن تتكرر المأساة معنا ويتقول الناس علينا .. لست أحب لك ولا لى مثل هذه المتاعب .

ـ انهم لم يتمكنوا من ذلك حتى الآن .

ـ اجل ادرك حقيقة ما تقولين .. ومهما يكن من امر ، اننى ارجو أن تستمر صداقتنا .

ـ افصح عما تريد قوله يا ميشيل .

ـ كل ما فى الامر اننى اميل اليك .

ـ فليحر وأنا بدورى اميل اليك . ولم أدخر وسعا من قبل فى الكشف عن شعورى هذا .

ـ اعرف ذلك . أعرف ذلك . دعينا ننسى ما كان .

فرنت اليه بابتسامة أودعتها صفحها وكل مشاعرها . ثم نهضت عن مقعدها مستأذنة فى شراء ما تريد قبل أن تغلق الحوانيت ابوابها . وعاد ادراجه ولم يلتقيا الا ساعة العشاء ، حين أقبلت

على المائدة تخطر فى ثوبها الأسود الذى كانت ترتديه فى تلك الأمسية ببناما .. ولكنها كانت تخص بعنايتها كوكروفت ، الذى انصرفت فى صحبته بعد العشاء مباشرة .

وجلس ليمنج فى البار يحتسى بعض أقداح الجعة ، وراح يقلب الأمر على كل وجوهه ، وقد أمضه انصرافها مع كوكروفت على خلاف ما كان ينتظره منها بعد تفاهمهما .

وتثاقلت الساعات فى مرورها ، وخلا المكان من كل رواده الا منه ، وسكن الليل واحس بوحشته مع وحشة نفسه ، واضطجع على مقعده فى شبه غفوة صحا منها ليجدها أمامه كطيف الأحلام تداعب بأصابعها شعر رأسه وتحنو عليه بقبلة الصفح الجميل .

وفى طريق العودة الى الوطن بالطائرة ايزى زيرا ، اتاح ليمنج الفرصة لكوكروفت أن يتولى قيادة الطائرة فى معظم مراحل الرحلة حتى يطمئن الى حكمه على كفاءته ولا يأخذه بجريرة خطأ واحد كانت له ظروفه .

وظل يراقبه طوال الوقت الذى قطعت فيه الطائرة المسافة الى جزر الآزور . وانتهى من ذلك الى أن كوكروفت تنقصه الخبرة المستمدة من تكرار الممارسة العملية التى تهيء لصاحبها الكفاية والقدرة .

وقابله بمطار سانتا انا مستر رادلى ، مدير المحطة ، واخبره بأن كيلستون توقف بالجزيرة طلبا للراحة ، وتساءل عما اذا كان ليمنج سيحذو حذوه ؟. وطاب المدير نفسا عندما اكد له ليمنج انه سيواصل طيرانه راسا بعد التزود بالوقود .

وفى مدريد ترك لكوكروفت مأمورية الهبوط بالطائرة فى مطارها . ولما التفت اليه ضابطه الأول ليطمئن على رأيه قال له :

ـ لا بأس . ينقصك الكثير من الممارسة العملية فقط .

ووصلت الطائرة اخيرا الى مطار لندن . وارجأ ليمنج تقديم تقاريره السرية عن افراد الطاقم جميعا ، ليعطى الفرصة لكوكروفت الى رحلة اخرى .

أما عن التقرير المقدم من كيلستون عن رحلة الطائرة رقم٥٦٩ من برمودا ــ الآزور ــ لشبونة مدريد ــ لندن ، فقد أعاد فيتش قراءته غير مرة ، ثم رأى أخيرا أن يتحدث بشــأنه مع احــد المسئولين . ولوح به في وجه فيذرستون قائلا :

ــ اقرأ . اقرأ وتمعن . ثم خبرني برأيك فيه .

وكان تقريرا مطولا ، ضمنه كيلستون تفاصيل رحلته بما فيها الأسباب التي دعته للتخلف في جزر الآزور .

وعلم من التقرير ان الطائرة تأخرت عن موعدها حوالى العشر ساعات .. وتناقش في ذلك مع مستر فيتش ، ولكنه لم يفصح عمــا كان يريد فيتش أن يفصــح عنه ويدور بخلده عن السبب الحقيقي لهذا التأخير .

واضــطر فيتش ان يطــرق الموضــوع بصراحة ، مما حــدا بفيذرستون مضطرا هو الاخر ان يوافقــه على رأيه من أن الدافع لهذا التصرف من جانب كيلستون كان علاقته بهذه المراة . الا أنه في الوقت نفســه أبدى رأيه بأنه لا حاجة بفيتش أن يقيم الدنيا ويقعدها لهذا السبب .. فقال له فيتش :

ــ أن شئون كيلستون الخاصة لا تعنيني في كثير أو قليــل . أن الموضوع أبعد من ذلك مدى . انه يعقد الأمور فيما يتعلق بقرار الغاء التوقف الليلي في الآزور . انه الوحيد الذي يقف معارضــا قرار الشركة في هذا الشأن . ولذلك أريد أن أعرف منك رأيك بصراحة فيما ورد بهذا التقرير .

ــ قد يكون راى المهندسين اكثر واقعية من رايي .

ــ ان ليمنج لم يشر بشيء في تقريره عن تلك المتــاعب بالرغم من انهماكه بالرحلة نفسها .

ــ لقد قلت لك . انها المراة . فتش عن المراة كما يقولون .

الجزء السادس

منتصف ربع الدائرة
الشمالى الغربى
٢٠ ديسمبر - ١٠ يناير

- ١ -

جلست فيرونيكا كيلستون ، امام المرآة بمنزل والديهـا فى لندن ، تصلح من زينتها وتصفف شعرها . وبعد مرور شـهرين بدات تشعر بتذمر والدها وضيقه بما يحدثه ولدها من جلبـة وضوضاء تعكر صفاء ما يحتاجه الشـيخان من هدوء . ولم يكن يضايقها من فراقها عن زوجها وتركها لمنزلها الا هذا الموضوع.

وكانت تعنى بزينتها فى هذا اليوم بالذات ، لانها كانت قد دعت أيفور جيليت لزيارتهم ، وهو زميلها فى عملها الذى التحقت به بعد فراقها عن زوجها . وكانت معجبـة به وبآرائه ، ماخوذة بوجهة نظره عن الحياة الزوجية .

وبينما كانت تستكمل زينتها ، سمعت رنين جرس البـاب . ولم يكن بالمنزل أحد غيرها ، حيث كانت والدتها فى زيارة لبعض الاصدقاء مصطحبة حفيدها معها . فتريثت قليلا باعتبـار انه أيفور جيليت وقالت لنفسها :

انها لا يجب أن تشعره بتلهفها وانتظارها له خلف الباب كما يقولون . وسمعت رنين الجرس مرة اخرى . فاتجهت الى الباب وفتحته قائلة :

ـ اهلا .

ولكن القادم لم يكن جيليت . لقد كان ميشيل ليمنج ، الذي رد تحيتها قائلا :

ـ هيللو فيرونيكا !.

فحاولت مسرعة الا يلاحظ شيئا مما اختلج به وجهها ؟ ورحبت به معلنة انها تنتظر صديقا دعته لتناول الشاي . فقال لها :

ـ لن اضايقك بوجودى . ان لى حديثا قصيرا معك .

ـ فلتتفضل بالدخول . . انها لمفاجأة لى .

وتقدمته الى غرفة الجلوس ، فجلس على الأريكة وراح يدور بعينيه فيما حوله قائلا :

ـ شقة والديك ، اليس كذلك يا فيرونيكا ؟.

ـ اجل .

ـ انها اصغر من أن تسعكم جميعا .

ـ اننا نتدبر امرنا يا ميشيل .

ـ هل يضايقك أن نتحدث قليلا فى الموضوع ؟ وعلى الأخص لان عيد الميلاد على الابواب .

ـ ان الامر شاق عسير ... عيد الميلاد ! بأى حال عدت يا عيد . . وخفضت بصرها حتى لا يرى ما فى عينيها من أسى .

ـ لست بحاجة لأن اوضح لك اسفنا انا وزوجتى لما وقع بينكما .

ـ شكرا . . شكرا لكما .

ـ ولقد فوجئنا بما كان من امرك .

ـ من امرى انا ؟.

ـ لانك سلمت على طول الخط .

ـ وماذا كنت تظننى فاعلة ؟.

ـ انني لا اريد الا مساعدتك .

ـ ماذا تعني بقولك انني سلمت على طول الخط ؟.

ـ لانك تركت منزل الزوجية . ولم تصمدي أمام العاصفة .

ـ ولكنني لن امكن مارك من الطلاق . وقد صارحته بذلك .

ـ ولماذا لم تحاربي هذه المرأة ؟ وانك لتتفوقين عليها بعدة أسلحة : بالزوجية . بولدكما . ببيتك .

ـ ميشيل ..لقد كانت الصدمة شديدة الوقع على نفسي.. كانت مفاجأة أذهلتني وجرحت كبريائي .

ـ انني مقدر لشعورك . ولكنك الآن ، تستطيعين مواجهة الأمر بهدوء وثبات ... لست أول من يتعرض لمثل هذه المتاعب، وما كان من مارك ليس الا نزوة طارئة .. ومارك لم يعد شابا أو صبيا نزقا .. انه رجل مكتمل الرجولة .. تعرض لما تعرض له نتيجة لتغيبه عن بيته معظم أيامه .. ثم أن هناك الكثيرات من النساء في طريقه .. ثم انك ..

ـ ولكنه صارحني بأنه يحبها ؟.

ـ ما اظنه بهذا قد عبر عن حقيقة شعوره .. كلا .. انها الظروف المهيأة في ذاك الوقت . لا علينا من هذا . ان الفرصة مهيأة لك الآن .. انها في جانبك .

ـ ماذا تعني ؟.

ـ أعني ان المحطة الليلية قد الغيت . وانه لن يجد الفرصة التي كانت متاحة له من قبل .

ـ اذن فلن يتاح لهما هذا اللقاء الطويل ؟.

ـ بلى . وما اظن مارك الا مقدرا لهذا الوضع الجديد . وما اظنه مضحيا بعمله في الشركة وضاربا بقرارها عرض الحائط . لقد انتهت هذه العلاقة ، في رايي ، وانقضى امرها .

ـ شكرا يا ميشيل . شكرا لاهتمامك بايضاح حقيقة الامر لي .

ـ ولقد أردت ان اطلعك على الوضع الراهن لكي تكافحي

وتناضلى فى هـذه الظروف المناسبة دفاعا عن كيانك وعن ابنك .. وعن نفسك .

ـ شكرا يا ميشيل .. اننى ادرك ما تعنيه .

ـ اذن .. ستعملين بنصحى ؟

ولم تعقب بشيء . واتجهت الى النافذة تتطلع الى السماء . فنهض ليمنج عن مجلسه واقترب منها قائلا :

ـ يحسن بى أن انصرف الآن . ارجو الا اكون قـد اثقلت عليك .

وعادت بعد أن ودعته عند باب الشقة مكـررة شـكرها . وساورها القلق عندما تبينت ان الساعة قد جاوزت الخامسة والنصف ولم يحضر بعد ضيفها المنتظر . وراحت تذرع غرفـة الجلوس لا تستقر على حال . ثم جلست تقطع الوقت فى القراءة، ولكنها لم تستطع أن تعى ما امام عينيها من سـطور ، لانها كانت تشرد بذهنها الى التفكير فى الغائب الذى لم يحضر .

واخيرا سمعت رنين الجرس . فلم تتلكأ فى هذه المرة ، بل نهضت مسرعة لتفتح باب الشقة وهى تكاد أن تطير فرحا . وفتحت الباب لتجد والدتها وابنها أمامها . ولما دخلت والدتها ولاحظت أن الشاى المعد لم يمس قالت لها :

ـ ألم يحضر صديقك ؟ .

ـ لقد اعتذر تليفونيا عن الحضور لدواعى العمل .

***

وتمكن ميشيل ليمنج من قضاء ليلة عيد الميلاد فى منزله مع زوجته ميلانى . وجلس امام المدفأة ينعم بتأمل نيرانها المتوهجة . وفجأة سمع زوجته تقول له :

ـ ماذا يشغل بالك ؟ ماذا بك ؟ .

ـ لاشيء .. اننى متعب لاننى لم انل قسطى من الراحة الليلة الماضية .. هذا كل ما فى الأمر .

ـ انك تجهد نفسك فعلا . اولا بعملك . وثانيا .. بما تبذله

من مجهود فى الحديقة ابان عطلتك . وثالثا بترددك على المطان كثيرا فى أيام راحتك .

ولم يكن قد اخبرها بزيارته لفيرونيكا ولا بزيارته لليبى فى شقتها ببيكر ستريت . وهو غير متعب أو مجهد ، ولكنه منشغل البال فعلا بالتفكير فى أنه يكاد أن يشبه كيلستون فى وضعه . كل الفرق بينهما ان أمره لم يذع ولم يصبح حديث الناس بعد . وعاد مرة أخرى ليفكر فى وجوب قطع هذه العلاقة قبل أن يستفحل أمرها .

* * *

استفسر كيلستون من سكرتيرة مستر فيتش عما اذا كان من الممكن أن يقابله . وبعد أن تأملت الرجل الواقف امامها قالت له:

ـ سأخطره بقدومك يا كابتن كيلستون .

ونهضت الى غرفة مكتب مدير الخط .. وبعد خمس دقائق خرجت اليه تبتسم ابتسامة مصطنعة وهى تقول :

ـ آسفة .. مستر ميتش مشغول جدا .

ـ اذن .. متى أتمكن من مقابلته ؟.

ـ لن يكون هذا قبل ساعة أو اكثر .

ـ اذن فلتحددى لى معه موعدا . سأعود بعد ساعة .

وكان نافذ الصبر وهو يقول لها هذا . فتأملته غير واثقة من امكان تحقيق هذا وقالت :

ـ سأسأله ذلك .

واخيرا انصرف كيلستون بعد أن ابلغته الفتاة بتحديد الساعة الرابعة والنصف لمقابلة مستر فيتش . وكان عليه ان يطير فى اليوم التالى بعد راحة دامت أربعة ايام بلندن خالها دهرا ، لأنه كان يتحرق شوقا للقاء المعهود .

وفى الساعة المعينة دخل غرفة مكتب مستر فيتش الذى ابتدره قائلا بعد ان دعاه للجلوس :

ـ اية خدمة يا كابتن كيلستون ؟.

ـ رايت انه يحسن بى أن اتولى شرح موضوع طلبى للتوقف الليلى .

ـ كنت مدفوعا الى ذلك بالحرص على راحة الملاحين . اليس كذلك ؟ .

ـ ولقد جئت لمقابلتك لأوضح الأمر لك فوجدتك مشغولا .

ـ آسف . ان اعمالى متشعبة كثيرة كما تعلم . هات ماعندك .

وبين له كيلستون وجهة نظره على أساس من انه يصعب الاعتماد على الطيارين المساعدين فى قيادة الطائرة بعض الوقت الذى يستريحه الكابتن فى حالات الطيران البعيد المدى . ومن هنا يبدأ الأساس الذى يبنى عليه اعتراضه على الغاء المحطة الليلية .

وتناقش الرجلان فى الأمر . ودافع كيلستون عن رأيه من جميع النواحى الفنية والعلمية .. ولم يستطع فيتش أن يقارعه الحجة بالحجة ، لأن وجهة نظره لم تكن غير الاقتصاد فى النفقات تنفيذا لرغبة رؤسائه . ولما ضاق به ذرعا قال له ببرود :

ـ والآن يا كابتن كيلستون ، اريد أن أسمع منك ما تراه من علاج بديل لما رايناه نحن ؟ .

ـ انك تعرف ان العلاج الوحيد هو فى الابقاء على محطة الآزور الليلية . ان الطيارين يجب أن ينالوا قسطهم من الراحة خلال الرحلة .

ـ أن الشركة تنفق الكثير على هذه المحطة .

ـ وحياة الركاب والملاحين فوق كل تقدير واعتبار .

وتأزم الموقف . واستبد الغضب بالرجلين . وقال له فيتش محتدا :

ـ عليك ان تقود الطائرة التى تعينها لك الشركة فى المواعيد المحددة الى الجهات المعينة . اما ماعدا هذا فليس من شأنك . فاذا كان العمل فى الشركة لا يروق لك ..

ـ افضل أن انصرف الآن . وانى لادعو الله ان أكون مخطئا فى تقديرى والا يصدق ظنى .

وانصرف تاركا فيتش في لجة من التفكير العميق ، لانه بالرغم من معارضته لكيلستون ، كان يرى فيما تحدث به اليـــه بعض الصحة . وحاول أن ينفض عن نفسه ما علق بها وأن يجمع شتات ذهنه ويركز تفكيره فيما أمامه من أوراق اخرى .

- ٢ -

قبل أن يعود كيلستون الى غرفته بعد مقابلته لفيتش ، عرج في طريقه على احد المطاعم الهندية . وكان متعبا يائســا . ان احدا لا يريد ان يصغي اليه .. حتى الزملاء الذين كان يرجو أن يؤيدوه، رغبوا عن الانضمام اليه والاستماع له . وانه ليرجو بعـــد هـذا الاجماع الذي يلمسه أن يكون واهما فيما يتوقعه مادام انه هـــو الوحيد الذي يرى هذا الرأي .

ولكنه بالرغم من رجائه هذا ـ يجد نفسه وقد عاد اليه تشاؤمه وعدم ارتياحه . وتناول طعامه متمهلا وهو مستغرق الفكر ، وشعر بحالته المعنوية تتحسن عندما بدأ يفكر في لقائه بكارينا في الغد ، بالرغم من أن هذا اللقاء لن يستغرق أكثر من ساعة ريثمـا تتزود الطائرة بالوقود اللازم لها .

وعاد الى غرفته ليفاجأ بفيرونيكا زوجته جالسة بجوار موقـد البترول ، فقال لها :

ـ أهلا فيرونيكا .

ـ لعلها مفاجأة غير سارة .

ـ كلا . هناك من الأمور ما يشغلني . وهي بعيدة عنك .

وتأملها وهي جالسة في مقعدها منتصبة القامة تبدو من عينيها ملامح القلق والشقاء . وسمعها تقول له :

ـ مارك . لقد عدت اليك .

فقال لها وهو يجلس غير مصدق لما سمعه :

ـ ما أظنك جادة فيما تقولين ؟.

ـ اننى أعنى ما أقول فعلا . انك لم تزل زوجى . وبمجرد أن نستأجر شقة فسيحة نعود للعيش مع ولدنا الوحيد و ...

فقاطعها قائلا :

ـ فيرونيكا ، لقد انتهينا من كل ذلك . أو سنخوض فى هذا الحديث مرة أخرى؟.

ـ أدرك هذا . ولقد فكرت فى الأمر منذ أن افترقنا . مارك ! لقد اقبل عيد الميلاد !

ـ لقد افصحت لك عن رغبتى وصارحتك بأن الطـــلاق هو سبيلنا الوحيد .

ـ مارك . ان كل ماأبغيه منك هو أن تعطينى فرصة لأول مرة فى حياتى معك . وفى الحق أننى تغيرت كثيرا .

ـ اشك كثيرا فيما تقولين .

ـ انك قاس عنيف .

ـ كلا .. ليس الأمر كما تتصورين . اننى فى دوامة من الفكر لا ترحم ولا تهدأ . انه الطلاق وحده الذى قد يضع حدا لكل ذلك .

ـ انك لا تفكر الا فى نفسك .

ـ انه خير علاج لنا جميعا . ان زواجنا لم يكن زواجا موفقا . ولقد حاولنا أن نجعل منه غير ذلك من قبل فلم نوفق .

ـ اذن فلتعلم اننى لم أزل عند رايى . لن يكون هناك طلاق .

ـ وانا قد وجدت سعادتى بعيدا عنك .

ـ انك لن تستطيع أن تراها بعد الغاء المحطة .

ـ ومن اخبرك بهذا ؟.

ـ ميشيل ليمنج . ميشيل ليمنج الذى يريد أن يصلح بيننا .

ـ ليس هذا من شأنه . ومهما يكن من أمر ، فلن يغير هذا من رايى فى كثير او قليل .

فنهضت غاضبة وهى تقول له محتدة !

ـ لقد فقدت عقلك ، ليس فى هذا من شك .

ثم اشارت اليه بأصبع محذرة منذرة واستطردت :

ـ شيء واحد اريد ان اقوله لك قبل ان انصرف. اياك وان تفكر فى ترك عملك من اجلها . انك مسئول عن الاسرة التى تعولها . مسئول عن ابنك جون . مسئول عنى. مسئول عن نفسك . مسئول عن مستقبلك .

واسند راسه بيديه . ومع وقع خطواتها الغاضبة ، تأرجح فكره بين ما سمعه منها وبين ما كان يدور بخلده .

والتقى بليمنج فى صباح اليوم التالى . كان متجها الى طائرته ايزى دوج عندما أبصر به يستحث الخطى الى غرفة العمليات . ووقفا يتحدثان عن العمل ، ومن هذا الحديث عمد كيلستون أن ينتقل الى موضوع المحطة الليلية ومنه الى تدخل ليمنج بينه وبين زوجته ، وسأله أن يبتعد عن هذا الموضوع ، معللا هذا الطلب بأن لكل شخص ظروفه الخاصة . وغلت مراجل الغضب فى صدر ليمنج . وبينما كان يستعد للرد على كيلستون ، سمع ليبى شالونير تحييهما تحية الصباح فى غير كلفة ، وكانت فى طريقها الى غرفة العمليات لتتسلم أمر التشغيل بطائرته . فحار فى امره ، ايهما يصب على راسه جام غضبه ؟ على كيلستون ام على هذه الفتاة العنيدة ؟ .

تلك الفتاة اللعينة عادت الى فعلتها مرة اخرى .

وبعد ساعة كان ليمنج ينطلق بطائرته ايزى انكل فى سماء لندن . وما ان اعتدل بالطائرة فى طريقه الى مدريد،حتى تزاحمت الأفكار فى راسه ، وتدافعت من كل اتجاه .. فقد ترك زوجته ميلانى ساخطة ناعية حظها لان زوجها لم يقض معها من عطلة عيد الميلاد الا ثلاثة أيام من ثمانية كان قد وعدها بها ولم يتمكن من الوفاء بوعده لدواعى العمل . وها هو كيلستون لا يقدر له حسن صنيعه بتدخله بينه وبين فيرونيكا لمصلحته ومصلحة ولده . وها هى ليبى تتوج كل هذه المضايقات بنزقها وتصميمها على أن تلاحقه .

ورأى فيما رآى ، نتيجة لاستعراضه كل تلك النقاط ، أن أهم ما يجب أن يوليه عنايته هو موضوع كيلستون . وتبين انه كان أولى به أن يتصل بكارينا ليطلعها على حقيقة الموقف .

وما أن اجتاز المجال الجوى للشبونة ، حتى اختمرت الفكرة فى رأسه وعقد العزم على مقابلتها والتفاهم معها .

ولم يكن يتوقع أن يراها فى مطار سانتا انا . وكان قد انتوى أن يتصل بها تليفونيا بمجرد هبوطه الى أرض المطار . ولفرط دهشته وجدها تغادر المطعم لحظة وصوله . وتذكر أن كيلستون كان قد سبقه فى القيام بحوالى الساعة . وانها كانت بالمطار لتلتقى به ، وانه قد استبقاها معه أطول وقت ممكن ، حتى انه لم يغادر المطار الا فى آخر دقيقة .

ولم يتردد ليمنج فى تنفيذ ما عقد العزم عليه . وها هى الفرصة تأتيه بين يديه . ورأى أن يعجل بانتهازها ، فأسرع لمقابلتها قائلا :

ـ الكابتن ليمنج . من اصدقاء مارك .

ومدت له يدها وهى تبتسم فى حياء قائلة :

ـ وانا كارينا . أظن انك تعرف كل شىء .

ـ اجل .. اعرف . هل تسمحين لى بنصف ساعة من وقتك ؟

ورحبت بعرضه وعادت معه الى المطعم . وبعد أن استقر بهما المقام ، بدأ الحديث قائلا :

ـ اظن انك رايت مارك قبل انطلاقه منذ برهة وجيزة ؟.

ـ اجل . ولم يمكث الا قليلا .

وكان يريد ان يتلمس طريقه الى الدخول فى الموضوع رويدا رويدا . وهذا يقتضى منه بعض الوقت . وما لديه من وقت لايكاد أن يتسع للموضوع نفسه . واخيرا رأى أن يمس الموضوع مسا رقيقا بقوله :

- ولكن ماذا تجدى الساعة او ضعف الساعة ؟ هل تسمين هذا الوضع حياة ؟. هذه هى حياتنا التى قسمت لنا وفيها تحطيم لحياة كيلستون العامة . الادارة تعرف كل شىء عن هذه العلاقة والناس يتقولون ويتندرون .

- ان الأقاويل والاشاعات لا تعنينى فى كثير أو قليل . ان الناس يجب أن يجدوا هدفا لأقاويلهم . فاذا لم أكن انا هذا الهدف . فستكونه أنت .. او غيرك .

- وحياته الزوجية التى تنهار بسببك .

- ان حياته الزوجية كانت منهارة فعلا . انك تعرف هذا .

- انه لن يحصل على الطلاق من زوجته . ثم انك لا تستطيعين دخول انجلترا . ولن تستطيعا اللقاء الا لبضع ساعات فى كل شهر . فهل ترين فى ذلك الحياة التى ...

- انك لا تفهم ، ولا تريد أن تفهم ، ولن تفهم .

واطرق مفكرا . ثم قال لها :

- بل اريد ان افهم .

- انه الحب الصحيح . الحب الحق . الحب الذى يجعل من نفسين نفسا واحدة . انه الرابطة التى لا انفصام لها .. تلك الساعات القليلة التى تتحدث عنها ، هى حياة بأسرها بالنسبة لنا . وما بينها من ساعات أخرى وأيام واسابيع ، اتصال روحى لهذه الساعات القليلة . ان ترقب اللقاء فى هذه الساعة التى نلتقى فيها ، هو حياة لها كيانها ومشاعرها من الأمل والتمنى الحلو المستكين . وذكرى هذا اللقاء بعد تلك الساعة ، حياة أخرى نعيشها وننعم بذكرياتها . انه الحب يا مستر ليمنج .

- والخطأ ؟ والصواب ؟ وزوجته ؟ وولده ؟.

- ان من يحب حبا صادقا مجردا عن الهوى ، لا يعتقد انه يرتكب اثما . اما الزوجة والولد ، فلن يضارا بشىء .

- انى كصديق له يمكننى ...

ـ انك لست صديقه ، ولا صديقا لاحد ، ولا صديقا لنفسك أيضا .

ثم نهضت واعتذرت له وشكرته . فنهض بدوره ومد لها يده مصافحا وهو يقول :

ـ كنت ارجو أن تفهميني .

ـ وانا بدوري كنت أرجو ان تفهمني.

وادرك انه فشل في مهمته . وشعر بخيبة امله .

وانطلق ليواصل رحلته الى برمودا . ولم ير ليبي خلال ساعات الرحلة الطوال الا مرتين في لحظتين عابرتين . ولكنها تعمدت أن تلتقي به في بهو الفندق بعد انصراف النزلاء .

وعندما جلسا في بهو الفندق بعد ان خلا لهما المكان ، أكدت له ليبي أن سفرها في هذه الرحلة لم يكن بناء على طلبها . فقال لها أن ثلاث رحلات متتاليات من الظواهر التي تثير الشك . وان كل ما يطلبه منها هو التصرف بحرص وحذر . فوعدته بأن تصدع بأمره . ثم نهض وغادر البهو منصرفا . وكان يشعر بالقلق وعدم استقرار نفسه .

وفي ساعة الافطار في اليوم التالي ، التقى ليمنج بكيلستون الذي بدأ يسرد على مسامعه مواعظه الفنية عن حالة الطيران في تلك الأيام واهمال القائمين على امره من الاداريين الأخذ بتوجيهات الفنيين ومن يمارسون المهنة عمليا . وراح ينعى عليهم استهتارهم بأرواح الناس .

- ٣ -

بعد أسبوع من هذا اللقاء ، كان كيلستون في طائرته ايزي انكل ، وايمنج في طائرته ايزي فوكس ، يطيران جنبا الى جنب تقريبا في طريقهما الى الآزور . وقد ازدادت سرعة الطيارتين بفضل اتجاه الرياح المواتي لهما ، حتى انهما اقتربا من الجزيرة

قبل الساعة المعينة لهما بجدول التـــوقيت . الأمر الذى كان من شأنه ان تجمعت فى المجال الجوى لهذه الجـزيرة ثلاث طائرات ، وذلك باضافة الطائرة ايزى زيرا التى كانت قادمة من الشـمال بقيادة الكابتن فيريس .

وكان فيريس أول من هبط بطائرته ارض مطار ســانتا انا ، واتجــه فورا الى مكتب ضابط الأرصــاد البرتغالى فى صـحبة المستر رادلى مدير الخط . واطلعهما الضابط على خريطة موضح بها اتجاه موجة من الرياح الباردة مصحوبة بالسحب الممطرة ، وتمتد هذه الموجة من جزيرة ايسلند عبر الاطلنطى جنوبا حتى الآزور ، ثم تنحرف يسارا حتى تبلغ برمودا .

وعندما هبط أرض المطار كل من كيلستون وليمنج الواحد بعد الآخر . كانت الامطار قد بدات تتساقط رذاذا . ورأى فيريس ان يستفسر من ضابط الارصـــاد عن مدى امكان الرؤية وارتفـــاع السحب فى مطار سانتا انا ، وعن الظروف المناسبة للانطلاق ، الى آخر تلك المعلومات التى لا غنى عنها لكل طيار فى الاحوال الجوية المتقلبة . وفهم من ضابط الارصاد فيما فهم أن الحالة «بين — بين» على حد تعبيره .

ولكن فيريس لم يقنع بذلك ، وطلب من الضـــابط مزيدا من المعلومات على اساس من واقع الجو الذى يراه من النافذة ســيئا للغاية تتعذر الرؤية فيه الى مسافة قصيرة . وامسك بذراعه واتجه به الى النافذة ليريه ما رأى . فثار الرجل وأرعد . وتصـــادف دخول كيلستون فى هذه اللحظة بالذات فدهش مما رأى وسمع ، ونظر الى فيريس مستفسرا . وما أن وقع نظر الضـــابط على كيلستون حتى انهال عليه بوابل من الأسئلة كان يجيبــه عنهـــا كيلستون باللغة البرتغالية التى كان يلم بها . وبعد أن عاد الرجل الى مكتبه قال كيلستون لفيريس :

— لقد خيل للرجل انك تستهزىء به .

فنفى فيريس هذا عن نفســه قائلا .. انه اراد ان يقنعه عمليا بأن الجو قد انقلب فجأة .

ثم عاد الرجل ببعض البيانات فى الوقت الذى اقبل فيه ليمنج ليستطلع احوال الجو . وبعد مراجعتهم لهذه البيانات الواردة من مختلف محطات الارصاد . حمد الثلاثة ربهم انهم اســـتطاعوا أن يهبطوا ارض المطـــار قبل أن يتعذر عليهم ذلك لتعذر الرؤية عند الهبوط .

ووقف ثلاثتهم فى دهليز المبنى يتشاورون فيما بينهم عمـــا يعتزمون . ودارت المناقشـــــة بينهم وكان اول من بت برأى هو كيلستون الذى لا يرى بحال ما امكان الطيران ليلا فى هذا الجـــو وانه من الضرورى ارجاء ذلك حتى الصباح . أما فيريس فقد حزم أمره هو الآخر ، ولكن على العكس مما قرر كيلستون ، لانه يرى أنه من الممكن ان ينطلق بطائرته ليلا . وعن ليمنج ، فقد كان متـــرددا لم يستقر بعد على قرار . ولما راى فيريس تردد ليمنج،انتهز عودة كيلستون الى مكتب الأرصاد وقال له رأيه بصراحة فى كيلســـتون وفى سلوكه :

ـ لقد جعلت هذه المراة من الرجل الحديدى عجوزا شـــمطاء لا حياة فيها ولا قوة .

وانصاع ليمنج لرأى فيريس ، وخرج معه الى غرفة العمليـــات ودهش مستر رادلى لمجيئهما . لان فى ذلك ما يعنى انهمـــا قررا الرحيل . مع انه كان مشغولا فى هذا الوقت باعداد اللازم لمبيت الركاب بفندق كاريراس . واعاد سماعة التليفون الى مكانها ليفرغ لمصافحتهما شاكرا لهما ما جنباه من عناء ، على العكس مما احرجه به كيلستون .

وفى هذه اللحظة بالذات ، اعلن المذياع تاخر سفر الطــــائرة قيادة كيلستون الى الصباح . فعلق فيريس على ذلك قائلا :

ـ نفس الشركة ونفس الطـــائرات . واحدة تبقى واثنتـــان تستانفان طيرانهما . ان فى ذلك لمدعاة لحيرة الركاب وتساؤلهم .

وكان باتس الملاح المرافق لليمنـــج فى هذه الرحلة موجودا . فرفع نظره عما بين يديه من أوراق قائلا :

ـ ما أظن الركاب وحدهم هم الذين سيتساءلون!كابتن ليمنج، هل تفضلت بالتوقيع على هذه الأوراق ؟.

وفى طريقهما الى طائرتيهما ، قال فيريس لليمنج :

ـ هل رأيتها .. كانت هناك فى انتظاره . وهذا هو السبب فى انه قرر واختفى سريعا .

وافترقا ليستقل كل منهما طائرته . وصعد فيريس الى طائرته ايزى زيرا ، حيث وجد الملاحين كما توقع ، يتحدثون عن حالة الطقس . فدعاهم مبتسما :

ـ كل فى مكانه ، حتى ننطلق قبل الطائرة ايزى فوكس .

وفى الواقع ان جميع افراد طاقم الطائرة كانوا متعبين مجهدين، وراح كل منهم يؤدى عمله متثاقلا متكاسلا . كما اضطر فيريس أن يتأخر فى القيام لتأخر خمسة من الركاب فى العودة الى الطائرة . وبعد أن أعلن المضيف استكمال العدد ، أصدر فيريس أمره بادارة المحركات . وقاد طائرته بحذر فى هذا الضباب ، وفى ذاك الجو المكفهر .

***

بعد أن نهض ركاب الطائرتين المسافرتين ليحتلوا أماكنهم بهما، تخلف ركاب الطائرة ايزى انكل ، بعد أن استمعوا لحديث كيلستون عن سوء حالة الرؤية ، وأقروه على وجهة نظره بعد ما تبينوا فعلا مدى كثافة الضباب ، وان كانوا قد صعب عليهم ، بادىء ذى بدء ، تعليل بقائهم وسفر غيرهم فى نفس هذا الجو المكفهر .

وخرج كيلستون ليجد كارينا فى انتظاره . ولما علمت منه بأنه سيتخلف حتى الصباح ، طفح وجهها بشرا ، وبدت مرحة سعيدة . وسألته بعد أن استقرا بالسيارة عما عساه يقال عن سفر الطائرتين وتخلفه هو ؟ ثم تبدل حالها وأعربت له عن مخاوفها وقلقها على وظيفته بالشركة .

فمال عليها يطمئنها ويبدد ما ساورها من مخاوف .. ولكنه بالرغم من ذلك جلست واجمة شاردة اللب . ثم امسكت بيده،

وراحت تقبلها ظهرا لبطن .. وعاد اليها فرحها وعادت الى وجهها ابتسامتها . واخيرا قال لها كيلستون :

ـ فى الحق اننى لم أؤجل طيرانى الا لأننى كان يجب أن أتخذ هذا القرار حرصا على سلامة الطائرة بكل من فيها .

ثم أودعها قبلة عبرت عن كل ما يجيش بنفسه ويفيض به قلبه. واسندت رأسها الى كتفه وكأنها تحتمى به مما يجول بخاطرها ويتراءى لها من مستقبل مظلم يشبه هذا الضباب الذى يحجب الرؤية أمامهما .

وتوقفت بهما السيارة اخيرا امام الفندق ، ودلفا معا الى الدفء والنور ، فتبدد ظلام نفسها واستشعرت الحياة تدب فى اوصالها، بعد كل ما أشاعه الضباب والظلام فى نفسها من انقباض وشجن ، وانطلقت نفسها مع بريق الحياة « الحاضر لنا » ..

***

بعد أن اصدر فيريس امره بالانطلاق ، وارتفعت بهم الطائرة ايزى زيرا عن أرض المطار وجد مهندس الطائرة هوكنز ، صعوبة فى تحريك محول السرعة واخطر قائده بهذا . ولما حاول ذلك مرة أخرى بناء على أمره ، لم يوفق فى محاولته بالرغم مما بذله من مجهود ، مما دعاه الى أن يقترح على الكابتن العودة الى المطار الذى انطلقوا منه ـ لأنهم لا يستطيعون أن يمضوا فى طريقهم بهذا الوضع ـ فاستشاط فيريس غضبا ، وترك مقعده وأصدر أمره لضابطه الأول باركر ان يتولى عنه قيادة الطائرة ريثما يتحقق بنفسه من اسباب هذا الخلل .

وفى حذق المجرب الخبير ، استطاع فيريس اخيرا أن يحرك محول السرعة ـ ونظر الى المهندس متهكما وهو يقول :

ـ او يجب ان اتولى بنفسى أمر كل شىء فى الطائرة ؟.

وعاد الكابتن الى مقعده قائلا :

ـ والآن الى برمودا !.

ولكن المهندس اصر على أن الجهاز الهيدروليكى بحـــاجة الى الفحص لأنه لا يطمئن اليه . وبمجرد أن هبطت الطائرة بهم بمطـار برمودا ، تحدث الى مهندس الصيانة بذلك. فلما الحوا فى ضرورة موافقة الكابتن على عملية الفحص توجه الى فيريس ليقنعه بضرورة اجراء هذا الفحص من باب الاحتياط ، فعارضه فى رأيه غير مقتنع بضرورة هذا الاجراء علاوة على ما فيه من تأخير قيامهم .

ـ ومع ذلك فلازلت غير مطمئن الى سلامة أجهزة ضغط الهواء ، ومهما يكن من امر ، فاما أن يظهر الفحص صدق ظنى ـ واما أن يظهر العكس . وأولى بنا ثم أولى ان ...

فرفع الكابتن كتفيه مستهزئا وهو يقول :

ـ أهكذا بكل بساطة . فحص وتأخير ثم لا شيء !.

***

قال ميشيل ليمنج لزوجته ميلان عند عودته لمنزله :

ـ هكذا ترين اننى أعود دائما فى المواعيد المحددة لى بجدول التوقيت .

ـ هذا هو المفروض ـ أليس كذلك ؟.

ـ ولكن كيلستون تخلف فى الآزور لسوء الأحوال الجوية التى كان يمكن أن اتخذها ذريعة لتخلفى . ولكن لهفتى على لقائك هى التى دفعتنى للمخاطرة بالطيران .

ووجد انها غير قانعة بهذا غير راضية . انها تريد منه ان ينقطع لها كغيره ممن لايعملون بالطيران . ورأى انه من الخير له ان يلوذ بالصمت ، لأنه ان لم يفعل ذلك لقضى عطلته فى تلك المناقشات البيزنطية التى لا جدوى منها .

ووصل كيلستون الى مطار لندن بعد ليمنج بعشر ساعات . ولما توجه الى غرفة العمليات كالمعتاد ، اخطر بأن مستر فيتش يرغب فى مقابلته ، بالرغم من أن الساعة كانت قد جاوزت التاسعة مساء

وبادر كيلستون ، المدير قائلا بمجرد دخوله الى غرفة مكتبه :

ـ اظن أنك أردت مقابلتى بشأن توقفى الليلى . لقـــد قدمت تقريرا شاملا فى هذا الموضوع .

وكان فيتش قد أمر بأن يبعث اليه بالتقارير المقـدمه من قائد الطائرة ايزى انكل فورا . وما أن انتهى كيلستون من كلامه . حتى رفع فيتش يده بالتقرير المقدم منه دلالة على انه أطلع على ما به .

وكان بين يديه تقرير آخر مقدم من رادلى يهاجم فيه تصرف كيلستون ويعيب عليه ما يحمل به الشركة من نفقات كانت فى غنى عنها ، بدليل ما كان من تصرف زميليه ليمنج وفيربس . وقيامهما بالطيران فى نفس الليلة التى تخلف فيها ، ومن نفس المطار ، وفى نفس الأحوال الجوية التى يتعلل بها كيلستون .

وواجهه فيتش بكل هذه الحقائق . وأصر كيلســـــتون على وجهة نظره دون تعريض بزميليه وما فى تصرفهما من مخـاطرة . وكان كل ما قاله :

ـ ان لكل رأيه وطريقة تقديره للأمور .. وان المسئولية لن يتحملها غيره فى حالة وقوع مالاتحمد عقباه . وأن أرواح من معه بالطائرة امانة فى عنقه . وان الشركة مهمـا أنفقت فى مقـــابل تخلفه ، فانها تنفق قطرة من بحر بالنسبة لما تتعرض له من خسارة مادية وادبية فى حالة وقوع كارثة ، وان الاداريين الجالســين الى مكاتبهم بين اربعة جدران ، لا يمكن ان يحكموا من مكانهم هذا على الظروف التى يقدرها الطيار الذى يعيش فيها .

فقال له مستر فيتش ضائقا بما يسمع :

ـ ولكنك الطيار الوحيد من بين طيارى الشركة الذى تكـرر منه هذا التصرف ؟.

ـ ليس لدى ما اقوله بعد كل ما بينته لك .

ورأى فيتش انه قد آن الأوان ليصارحه بدخيلة نفسه ويواجهه بأمر علاقته الغرامية بتلك المراة . فقال له :

ـ لقد نمى الى علمى بعض ما يقال عن ...

وتوقف الرجل باحثا عن أنسب تعبير يصوغ فيه ما يريد أن يقوله . ولكن كيلستون جنبه هذا العناء عندما قال له :

ـ أعتقد أنك تعنى .. كارينا .

ـ أنا لا أعرف عن اسمها شيئا . كل ما اعرفه انها تقيم بجزر الآزور .

فاستشاط كيلستون غضبا وانفجر قائلا :

ـ وهي السبب فى محاولتى تلمس الأعذار للتخلف فيها ...

ـ وهل هناك شك فى ذلك ؟ .

فاستبد الغضب بكيلستون وقال محتدا :

ـ اذن ، فانت لا تثق بى كقائد لاحدى طائرات هذا الخط؟ كما انك لا تصدق شيئا مما اقول .

ـ ليس الأمر بهذه الصورة .. وما اظن أن هذا الشك يساورنا، اذا كان التصرف فى مكان آخر غير الآزور .

فنهض كيلستون عن مقعده قائلا :

ـ ومادام الأمر كذلك فلا جدوى من اطالة الحديث واستمرار المناقشة .

وفى طريقه الى باب الغرفة سمع فيتش يناديه قائلا :

ـ دقيقة اخرى يا كابتن كيلستون . من واجبى أن أصارحك بأن الشركة لا تنظر بعين الارتياح الى هذا التخلف بمطار سانتا انا .. وحيث انك تحرص على راحة الملاحين ولا تميل الى الطيران البعيد المدى ، فقد يروق لك أن تعمل بخط طيران الهند حيث تقصر مسافات الطيران ، وحيث لا يوجد مطار سانتا أنا .

وخرج كيلستون دون أن يعقب بشىء على ما سمع . ولم يكن فيتش بحاجة الى اى تعقيب . فقد كان واثقا من ادراك كيلستون لما تضمنه حديثه من معنى ، بحيث لن يلجأ مرة اخرى الى التحايل للتخلف كما فعل من قبل .

* * *

وبعد ثلاثة أيام — توجه كيلستون الى غرفة العمليات بالمطار لاستلام أمر التشغيل الخاص بطيرانه الى باناما ثم عرج على مكتب الأرصاد الجوية للاطمئنان على حالة الطقس واتضح له أن الجو فى المسافة بين لندن ومدريد مناسب . وانصرف الى غرفة الملاحين حيث التقى بكوكروفت لأول مرة — وعلم منه أنه سبق له الطيران مع ڤيريس وليمنج ثم راجع أسماء أفراد الطاقم المعينين معه فوجد من بينهم باتس الملاح ودرابر ضابط اللاسلكى وكلانى المهندس .

واتجه بعد ذلك الى حيث تقف الطائرة ايزى زيرا بأرض المطار . ووجد المهندس يتفقد الطائرة ويتأكد من سلامة معداتها وأجهزتها . واستفسر منه كيلستون عن نتيجة فحصه وعلم منه بأن كل شيء على مايرام . فأعاد سؤاله عن حالة أجهزة الضغط . واكد له المهندس أنها بخير بعد ان تردد قليلا مما حدا بكيلستون ان يعيد عليه السؤال ليزداد اطمئنانا .

وفى تمام الساعة التاسعة صباحا ، انطلقت الطائرة ايزى زيرا بسبعة وأربعين راكبا فى طريقها الى مدريد .

الجزء السابع

بداية ربع الدائرة
الشمالى ـ الغربى
١٠ يناير ـ ١٦ مارس

ـ ١ ـ

وما أن استقرت الطائرة على متن الهواء ، حتى ترك كيلستون أمر قيادتها للضابط الأول كوكروفت لأنه كان يريد أن يختبره ويتحقق من كفاءته .

وبعد قليل من مراقبته له،تبين كيلستون أن الرجل بحاجة الى الكثير من الخبرة والممارسة العملية. وانه لا يمكن بحال ما أن يترك له كلية أمر قيادة الطائرة دون اشراف وتوجيه منه.

وقد كان ما توقعه كيلستون عند قيام الطائرة من مطار مدريد من قلة خبرة كوكروفت وتعجله تحريك محول السرعة قبل أن تأخذ المحركات أهبتها الكاملة للانطلاق ، مما كاد أن يهوى بالطائرة على أرض المطار . لولا تدارك كيلستون ذلك فى آخر لحظة .

وبعد ان اعتدلت الطائرة فى مسارها . إلتفت الكابتن الى مساعده قائلا بصوت منخفض حتى لا يسمعه أحد :

ـ لماذا فعلت ذلك بحق السماء ؟

ـ توقعت انك ستصدر لى الأمر بهذا .

ـ لا تتوقع شيئا فى عملك هذا ، يجب عليك أن تنتظر وتصغى جيدا لما يصدر اليك من أوامر .

ـ اعتذر يا سيدى عما بدر منى من خطأ غير متعمد .

ولاحظ كيلستون فيما بعد أن كوكروفت صدع بما أمر به وذلك فى الطريق الى لشبونة ومنها الى الآزور. وأن الرجل لا ينقصه الا الخبرة والتوجيه . فقال له مشجعا :

ـ انك بحاجة فعلا الى الممارسة العملية . وسأمكنك من ذلك فى هذه الرحلة .

وترك كيلستون لضابطه الاول الهبوط بالطائرة فى مطار سانتا انا دون أن تغفل عينه عن مراقبته . وقام الضابط الأول بذلك دون أى خطأ منه أو حتى الشروع فيه .

ونظر كيلستون من النافذة التى الى جانبه ليرى كارينا فى انتظاره عند الباب الرئيسى لمبنى المطار .

واطمأن رادلى من مكتب الأرصاد على حالة الطقس وتأكد من أن كيلستون لن يجد فى تلك البيانات ما يتذرع به لتأخير جديد .

وما أن وقع بصر كارينا على كيلستون حتى هرعت اليه . فاحتواها بين ذراعيه وضمها الى صدره قائلا :

ـ ها قد حضرت اليك على عجل .

ثم تأبط ذراعها وخرج بها من مبنى المطار الى الطريق الخالى المؤدى الى بونتاد لجارا ، وراحا يذرعان الطريق جيئة وذهابا فى خطوات متئدة متمهلة ، بينما كانا يتحدثان حديثا خافتا هامسا . وكان مستر رادلى يتبعهما بنظراته حينا ويراجع ساعته حينا آخر واخيرا خرج اليهما من الباب الخلفى مناديا :

ـ كابتن كيلستون .

فاقبلا عليه معا وسأله كيلستون :

ـ هل كلّ شيء معد ؟

فأجابه رادلى متجاهلا وجود الفتاة :

ـ أجل . أمر السفر معد لتوقيعك ـ وسيكون الركاب فى مقاعدهم بعد خمس دقائق .

فدخلا معا الى مكتب مدير المحطة حيث وقع نيلسون امر السفر ثم التفت الى كارينا قائلا :

ـ ها قد مر الوقت سريعا ؟.

ـ اعتنِ بنفسك يا مارك . ألست متعبا ؟.

ـ كلا . وأرى ان الطقس معتدل والرياح مواتية .

ـ هل سيطول غيابك ؟ متى سأراك ثانية ؟.

ـ بعد احد عشر يوما وساعتين .

ومشت معه على مهل ، حتى توقفا عند سلم الطائرة يراقبان الركاب وهم يصعدون اليها ذرافات ووحدانا . ثم قال لها عندما حان وقت الرحيل : لقد آن الأوان . والى لقاء قريب ! فقالت له وهى تدفن وجهها فى صدره :

ـ لو تمر الأيام والساعات كما مرت بنا هذه الساعة

ثم رفعت اليه وجهها ولم تخف الابتسامة ما فيه من اسى ، فقبلها قائلا :

ـ الى حين نلتقى .

ثم ابتعد عنها وما أن هم بالصعود الى الطائرة حتى سمعها تناديه فعاد اليها :

ـ نعم يا كارينا ؟.

ـ مارك .

ثم أمسكت عن الكلام وراحت تنظر الى الجبال البعيدة وقد خيل اليها أنها تقترب منها وتطبق على المطار . وشعرت بشىء

يدفعها لأن تقول له « مارك ... لا تسافر » ولكنها أمسكت وقالت له ما يجب أن يقال فى هذه الأحوال :

ـ أتمنى لك رحلة موفقة ؟.

فابتسم وأودعها قبلة أخرى قبل أن يرتقى سلم الطائرة . وقبل ان يوصد باب الطائرة ، لوح لها بيده مودعا .

ووقفت حيث كانت ، تتأمل الطائرة وهى فى اللمسات الأخيرة قبل انطلاقها . ورأت مارك جالسا على مقعد القيادة بجانب نافذة القمرة . ولكنها كانت تشعر فى الوقت نفسه بأنها كمن اقتطع من نفسه شيئا . وسمعت أزيز المحركات وبدأت الطائرة تتحرك على مهل صوب الممر وكأنها عالم قد اقتطع من الكون بعيدا . ثم بدأت فى الارتفاع وهى تصغر شيئا فشيئا حتى انضمت بأنوارها الى مجموعة النجوم فى السماء ، وبعدها اختفت تماما عن عينى كارينا ـ انعدم وجودها بالنسبة للحقيقة الصغرى ـ حقيقة عينيها . وأصبحت فى عالم آخر ، فى عالم الحقيقة الكبرى . موجودة بكل من فيها .

* * *

كان جوميز هو ضابط العمليات المنوب بالمطار فى تلك الليلة . وكان يتتبع من حين لآخر الاشارات التى تصل اليـــه من باتس ضابط الأرصاد بالطائرة ايزى زيرا ـ ويحدد موقعها على الخريطة الموجودة أمامه ـ ولم يكن بالخط الا هذه الطائرة التى تشق طريقها عبر الاطلنطى الى برمودا ، وطائرة ليمنج التى غادرت مطار لندن منذ لحظات .

واستمر ارسال الاشارات بتحديد اتجاه الرياح وسرعتهـا من الطائرة ايزى زيرا . وجلس جوميز يقطع الوقت فى القراءة وفى التدخين . ولاحظ انه لم يتلق أية اشارات فى الساعتين الاخيرتين . فاتصل بمحطة الراديو ليستفسر عن ورود أية رسائل ، فتلقى الرد بالنفى . وظل الاتصال منقطعا حتى الساعة الخامسة . ومع ذلك فان الطائرة ايزى زيرا يجب أن تكون فى هـذه الساعة فى دائرة

اختصاص برمودا وتحت اشرافها . وقام الى رسمه البيانى فوجد أن آخر موقع حدده للطـــائرة كان عند الدرجة ٤٣ غربا ، أى فى منتصف المسافة تقريبا . فدار رأسه واطرق به مفكرا .. وبعد قليل اتصلت به برمودا تستفسر عن موقع الطائرة ايزى زيرا .. فاجاب بأن آخر موقع لها محدد منذ ثلاث ساعات ونصف ، وعلم منهم بأن الأحوال الجوية ليست على ما يرام فوق الأطلنطى .

وأعادت برمودا الاتصال به بعد الفجر تسأل وتستفسر . وظل الحال على هذا المنوال حتى قاربت الساعة الثامنة . وهى الساعة التى يجب أن تكون فيها الطائرة على مقــربة من برمودا ان لم تكن على مشارفها . وساورت الشكوك جوميز . ثم عاد يطمئن نفســه بأن الطائرة ربما تكون قد تأخرت بفعل اتجاه الرياح المضادة كمـا يحدث غالبا . ولكن .. ترى بماذا يعلل انقطاع اتصـــــالها به أو ببرمودا ؟.

وبعد أن جاوزت الساعة التاسعة ، وردت اشارة من برمودا بأن الاتصال بالطائرة ايزى زيرا لم يزل متعذرا . واطلع مستر رادلى مدير المحطة على هذه الاشارة وفوجىء بهاواسقط فى يده.واتصل جوميز ببرج المراقبة لاطلاق دوريات الاستطلاع والاغاثة على طول الخط من الآزور الى برمودا .

وحتى الساعة الواحدة بعد الظـــهر ، كانت برمودا عاجزة عن الاتصال بالطائرة . وهذا يعنى فى الوقت نفسه نفــــاذ الوقود بالطائرة ايزى زيرا . كما انه لا سبيل أمامها للهبوط فى اى مكان قريب اذا اضطرت لذلك . وقامت طائرات الاغاثة والاستطلاع من برمودا ومن لاجنز تبحث عن الطائرة المفقودة أو اى اثر لها . كمـا انطلقت بعض السفن للاشتراك فى هذا البحث،وغير البعض الآخر اتجاهه فى المنطقة القريبة من خط الطول ٤٣ مئوية غربا . وهكذا تضافرت جميع الجهود للبحث عن الطائرة ايزى زيرا وانقاذ ركابها السبعة والأربعين .

وسمع ليمنج بهذه الأنباء أو بطرف منها وهو فى طريقه بطائرته

ايزى فوكس من لندن الى مدريد الى لشبونه الى سانتا انا بجـزر الآزور . وعندما هبط بالمطار الأخير وجد المحطة فى ذعر وهلع.

وقابله مستر رادلى وهو يضرب كفا بكف من فرط دهشته ، وسرد على مسامعه القصة بحذافيرها .

واستفسر ليمنج منه عن أسماء أفراد طاقم الطائرة المفقودة ؟ فتلا عليه أسماء أفراد الطاقم :

ـ مارك كيلستون،كوكروفت ، باتس ، درايرـ والمهندس كلانى. ثم سأله :

ـ والركاب ؟ .

ـ سبعة وأربعون يا كابتن .

ـ وهل قمت باللازم للبحث عن الطائرة وانقاذها ؟.

ـ أجل . قمنا بكل ما يمكن .

ـ مهما يكن من أمر هذه الجهود ، فهناك طائرة يمكن أن تشترك فى البحث .

ـ أية طائرة يا كابتن ؟.

ـ ايزى فوكس . الطائرة التى وصلت بها .

ثم التفت الى مساعده الملاح قائلا

ـ أعد خطة الطيران بحيث تكون قريبة من سطح البحر . اننا سنتولى البحث عن الطائرة فى طريقنا الى برمودا . يجب أن نقوم بواجبنا وأرجو أن نوفق. يجب على الجميع أن يشتركوا فى ذلك.

ـ اننا لم نقصر فيما يجب أن يتخذ من اجراء .

ـ هل كانت الطائرة على ما يرام قبل رحيلها ؟.

ـ على اتم ما يرام .

وجلس ليمنج مطرقا ، وران عليهما صمت مطبق . وبعد قليـل وردت اشارة عاجلة من لندن الى جميع المحطات نصها الآتى :

ـ جميع طائرات المارلبورد تهبط بلا تعيين ولا تتحـــــرك من مكانها .

وهكذا نجح مارك كيلستون أخيرا فى حمـــل فيتش على ان يتحرك ويعمل .

***

وأقبل رادلى فى صــباح اليوم التــالى على ليمنج بفنــدق كاريراس متأبطا صحيفة المساء الصادرة فى لندن ، والتى حملتها اليه احدى طائرات الخط القادمة من انجلترا . وقدم الصحيفةالى ليمنج يائسا متجهم الوجه . وسأله هذا عن آخر أنباء الطائرة وعلم منه أن أثرها لم يزل مفقودا .

واطلع ليمنج على الصحيفة ، فوجد ان الصحافة البريطانية قد أحلت هذا الموضوع فى المكان الأول من صفحاتها ، وان اسم الطائرة ايزى زيرا قد برز فى عناوينها العريضة ، وأنها ضمنت مقالاتها الاشارة الى الحريق الذى وقع بهذه الطائرة منذ شـــهرين ، والى حادث الباخرة سانتا لوشندا وتصرف كيلستون بشأنها ، ثم عرجت الى كارثة جبل طارق واختفاء الطائرة الذى مضى عليه أكثـــر من عامين .

ولمـا لاحظ ما عليه رادلى من اضطراب وقلق قال له :

ـ وما هى علاقتك بكل هذا ؟ وما هو السبب فى هذا الجزع الذى أراك فريسة له ؟ هل قصرت فى شىء ؟ .

وأنهى ليمنج حديثه مع الرجل المضطرب الأعصاب باعتذاره له بأن لديه مهمة عاجلة يود أن يقوم بها بعد قليل . اذ انه كان قد قرر بينه وبين نفسه ،أنه يحسن به ان يخطر كارينا بهذه التطـــورات الأخيرة برفق قبل أن تفاجأ بها من غيره .

والى مكتب أوليفاريز الذى كانت تعمل به ، اتجه ليمنج بعـــد أن ارتدى ملابسه. وهناك قابلة اوليفاريز مرحبا بعد أن قدم ليمنج له نفسه . وعلم منه ان كارينا متغيبه من اليوم السابق . فصارحه ليمنج بسبب حضوره. فأبدى الرحل اسفه لانه لا ينسى لكيلستون

حسن صنيعه . كما أنه أبدى عطفه على كارينـــا التى سبق أن قاست كثيرا فى حياتها ولم تعرف السعادة الا بعد أن التقت بكيلستون . ونهض الرجل مصطحبا ليمنج معه الى محل سكنها حيث لم يجداها به . وقاما بالتحرى عنها من جيرانها وعلما أنها متغيبة من اليوم السابق .

واتجها بعد ذلك الى مكتب اللاسلكى حيث استفسر اوليفاريز عنها من الموظف المختص الذى علم منه بأنها كانت موجودة فى اليوم السابق ، وأنها بعد أن سلمته الرسائل المكلفة بها جلست تنتظر تبليغها لأنهم كانوا مشغولين بموضوع الطائرة ايزى زيرا .. فلما استفسر منه أوليفاريز عما اذا كانت قد أدركت شيئا مما كان يتحدث به عن الطائرة ، أكد له الموظف ذلك ، ولو أنها لم توجه اليه اى سؤال .

فتجهم وجه أوليفاريز وقطب جبينه قائلا لليمنج :

ـ أظن أنه يحسن بنا أن نخطر الشرطة .

وقاموا باخطارها فعلا .

ولم يوفقوا فى العثور على أثر لها حتى ساعة متأخرة من الليل ، بالرغم من انهم لم يتركوا مكانا الا وبحثوا فيه .

وجلس ليمنج مع أوليفاريز فى غرفة مكتبه ، متعبا مجهدا مرهق الأعصاب بعد طول هذا البحث المضنى .

وكانا يقطعان الوقت فى تجاذب أطراف الحديث . وعندما عرجا فى حديثهما على موضوع علاقة كيلستون بكارينا ولم يخف ليمنج حكمه على تصرف كيلستون بالذات ، قال له اوليفاريز :

عندما تبلغ من العمر ما بلغته أنا ، ستدرك أن أحداث الحياة هى التى تدفعنا امامها وتجرفنا فى تيارها .

ان الانسان لا يستطيع ان يتحكم فى مصيره ولا فيما يمر به . ان مكاننا من عجلة الحياة ثابت لا يتغير . وهى تدور بنا وتنقلنا من مكان الى مكان . ثم تستقر بنا حينا فى المكان الذى تنتهى دورتها

اليه . وتعود بعد ذلك لتدور بنا وتدور فى قوة لا نملك حيالها شيئا . وهل يستطيع احد منا أن يوقف هذه الدورة ؟ هل يجرؤ أحد منا على اعتراض سبيلها ؟ كلا . أن مكاننا منها معين معروف وما تقرر لدورتها محدد لا تغيير له .

ولم يعقب ليمنج بشيء . وأطبق شفتيه وأمسك عن الكلام . فسأله اوليفاريز :

- خبرني . اذا ما كان قد وقع للطائرة حادث ما ، فمتى يكون ذلك ، ولو على وجه التقريب ؟.

- لقد تلقت المحطة آخر رسالة منها حوالى الثالثة صباحا . ولكن هذا لا يمنع من أنها واصلت طيرانها بعد ذلك بضع ساعات أخرى .

- وهل هناك من أمل فى الاهتداء اليها ؟.

- لا أعتقد أن هناك اى امل بعد كل هذه الساعات التى مرت منذ بدأ البحث عنها .

فنهض اوليفاريز عن مقعده واتجه الى النافذة يحدق النظر فى الميناء . وسمعه ليمنج يقول فى صوت حالم :

- لقد عرفت كل شيء . لم يكن بها حاجة لتسأل وتستقصى . لئن كان قد مات فقد عرفت ذلك فى حينه .

- كيف . . ان هذا . .

- كلا . . لم يكن ما قلت عجبا . انها امراة غير عادية .

- لقد التقيت بها وتحدثت اليها حوالى نصف الساعة ولم تكن غير امراة عادية .

- أما أنا فعاشرتها خمس سنوات طوالا .

وكان الرجل لازال محدقا النظر فى مياه المحيط القاتمة .

- هل يمكن أن يكون قد سقط فى المحيط ؟

- اجل . وهل يوجد غير المحيط يسقط فيه .

ـ ان هذا المحيط بالذات . هذا الأطلنطى الذى يضرب بأمواجه تلك الشواطىء الصخرية . سيكون مقرهما الأخير . قبر واحد يضم جثتيهما وان بعدت الشقة بينهما .

- ٢ -

دعى كل من له اتصال بالطائرة ايزى زيرا ، سواء أكان من الفنيين أو من الاداريين أو من الطيارين ، لحضور مجلس التحقيق الذى تشكل على أثر الزوبعة التى أثارها اختفاء هذه الطائرة وظهر صداه فى الصحف وفى مجلس العموم .

وتوالت الأسئلة ، واحتدمت المناقشات، وقرر الخبراء الفنيون إن تصميم جهاز الضغط فاسد من أساسه ، وان كان يؤدى عمله بطريقة مرضية ، بدليل عدم وقوع حوادث من قبل بسببه . وان حالة الجهاز بالطائرة المنكوبة عند مغادرتها مطار سانتا انا كانت عادية .

ثم جاء دور موظفى الأرصاد فقرروا بأن الأحوال الجوية كانت مناسبة ومطابقة لتقديراتهم ، بدليل انه كان هناك من الطائرات ما وافق طيرانها نفس الطقس الذى كانت تطير فيه ايزى زيرا .

وبعد أن انتهت لجنة التحقيق من استجواب الخبراء الفنيين وموظفى الارصاد أعلن رئيسها انتهاء التحقيق فى ذاك اليوم وتأجيله لليوم التالى لاستيفائه بفحص مؤهلات الملاحين .

وكان ضابط التدريب أول من استدعى لسؤاله فى صباح اليوم التالى . وشهد فى حق كيلستون بأنه طيار عالى المستوى . وتوالى استعراض حالة سائر افراد الطاقم حتى جاء دور كوكروفت . وقرر ضابط التدريب بأن جميع الضباط المساعدين غير مدربين بما فيه الكفاية . وان كوكروفت كان يؤدى عمله باخلاص وكفاية . وانه قام بثلاث رحلات ولم يقدم الطيارون ضده أية شكوى . ولما سئل ليمنج قرر بأنه كانت تنقصه الدراية المستخلصة من الممارسة

العملية . ولما ضيق المدعى عليه الخناق ، مذكرا له بأنه أدى اليمين القانونية ، اضطر انه يشير الى ما كان من كوكروفت عندما كاد أن يهبط بالطائرة فى شارع كنجستون على انه ممر الهبوط بالمطار . فعاد المدعى الذى لا يرحم ليضيق عليه الخناق مرة أخرى ويسأله عن سبب عدم تقديمه تقريرا بذلك فقال ليمنج مجيبا :

ـ أردت أن أعطيه فرصة اخرى . كلنا يخطىء .

ولما شعر ليمنج بالحرج من كثرة ما وجه اليه من اسئلة وحجج دامغة ، وجد مخرجا فى أن يقرر بأن الضابط الذى عمل معه فى رحلة واحدة ، عمل مع فيريس فى رحلتين .

ولم يستفد ليمنج من الزج بفيريس ، الذى لم يكن احسن منه حالا . وتدخل رئيس لجنة التحقيق ليضع حدا لهذه المناقشة باعلان أن اللجنة قد حصلت على ما تريد من معلومات عن كوكروفت . وعاد كل من فيريس وليمنج الى مقعديهما بقاعة الجلسة . وماكاد ليمنج أن يستقر فى مقعده حتى سمع رئيس الجلسة يقول :

ـ اما وقد انتهينا من استعراض حالة أفراد الطاقم فلم يبق أمامنا غير بحث موضوع ارهاق الطيارين بالعمل . هل يتفضل كابتن ليمنج بالاقتراب مرة أخرى .

وناقشه رئيس اللجنة بنفسه فى اقتراحه الخاص بالغاء المحطة الليلية . وطالت المناقشة ، واحتد رئيس اللجنة ، وكاد ليمنج ان يفقد أعصابه ، ولكنه تمالك نفسه أخيرا وسيطر عليها حتى انتهت المناقشة .

وسئل مستر رادلى فى موضوع الغاء هذه الاستراحة .. وناقشه رئيس اللجنة وضيق عليه الخناق ، لانه شعر بأنه كان متحاملا على كيلستون .

واستمر انعقاد الجلسة حتى المساء ، وكان آخر من نوقش هو مستر فيتش . وسئل عما اذا كان جميع الطيارين قد وافقوا على اقتراح الغاء المحطة الليلية . فقرر بأن كيلستون كان هو المعارض

الوحيد لالغاء المحطة . وانه طالما وجه نظره الى حالة الطائرات واللاحين وانه بدأ يدرك أن كيلستون كان على حق . ولكنها التعليمات والروتين .

ولم يشر بشيء الى علاقة كيلستون بكارينا . فللموت حرمته التى يحافظ عليها المجتمع ويرعاها ، وبالذات اذا لم يكن هناك من نتيجة لاثارة مثل هذه الأمور .

وأعلن رفع الجلسة لفترة يستعرض فيها رئيسها قراره النهائى . وترك رئيس الجلسة العضوين يتناقشان واستغرق هو فى استعراض ما قرره مستر فيتش بصدق عن تحذير كيلستون له غير مرة وتوجيه نظره لحقيقة الأمر .

وراح الرجل يستعرض أقوال رادلى وأقوال ليمنج ، وانتهى الى أن هناك من الحلقات المفقودة مالا يمكن للتحقيق أن يهتدى اليها ، ومن الثغرات ما يظل مطالبا ضمير المحقق بأن يسد فراغه . أن تحامل رادلى على كيلستون فى تقاريره عنه وعن توقفه بالآزور يخفى وراءه أمرا آخر غير ماظهر فى التحقيق . وليمنج الذى لم يقدم تقريرا عن كوكروفت وعما ارتكبه من خطأ جسيم ، وزعمه أنه اراد بهذا أن يعطيه فرصة أخرى ، يخفى بذلك سببا آخر لا يعلمه الا هو . وتلك الثغرات والحلقات المفقودة هى التى أودت بحياة خمسين راكبا كانت تقلهم الطائرة ايزى زيرا .

والتفت رئيس الجلسة الى العضوين ، وبحث معهما مايجب أن يصدر من قرار . ولم تستغرق المداولة وقتا طويلا ، واتفق الجميع على صيغة القرار . وقد بدأه رئيس الجلسة بتلخيص لظروف الحادث وما أحاط به من ملابسات وشهادة الشهود الاستشاريين . وذلك لأنه لايمكن بحال ما فى حالة اختفاء الطائرات وعدم ظهور أى اثر لها ، البت بصفة قاطعة فى أسباب وقوع الكارثة . فليس هناك من شاهد عيان .

وقرر بأنه يرى مما تجمع لديه من أدلة ، أن الحادث قد يرجع الى أحد هذه الأسباب التى ترددت بالجلسة أو اليها مجتمعة :

١ — الخلل في بعض أجهزة الطائرة .

٢ — عدم كفاية الطيار الأول « كوكروفت » .

٣ — ارهاق الطيارين بالغاء التوقف الليلى .

ثم عرج رئيس الجلسة فى تلخيصه الى ماتبين من قصور فى بعض الاجراءات . هذا القصور الذى يجب على المختصين العمل على تلافيه بسرعة :

أولا : نظام التقارير التى تقدم عقب كل رحلة عن حالة الطائرة وحالة ملاحيها ، يجب أن يكون اجباريا معطيا صورة صحيحة لكل تلك الحالات .

ثانيا : انه لا معنى للأوامر المنظمة الخدمة بالخط اذا ما كانت بشكل يمكن للطيارين أن يفسروه كما شاءوا وكما يحلو لهم .

ثانيا : انه لا معنى للأوامر المنظمة للخدمة بالخط اذا ما كانت ستة شهور ، شأنهم فى ذلك شأن الطيارين تماما .

وأخيرا ..

ان يوما بأكمله فى طيران متواصل ، يعتبر زمنا طويلا مرهقا للطيارين بصفــة خاصة ولجميع افراد الطاقم بصفة عامة .

وختم رئيس الجلسة تلخيصه بالاشادة بكيلستون وببعد نظره كطيار محنك مجرب . مع لفت نظر الشركة لما ورد فى التحقيق من تعمد بعض المسئولين معارضة هذا الرجل وتجاهل أمره . وما اتضح من تعمد البعض الآخر تزييف الوقائع عليه ومهاجمته . ولايعتبر هذا التوجيه القاء بتبعه الحادث على كاهل احد من موظفى الشركة بالذات . بل هو توجيه لاصلاح ادارى يقضى على هذه العيــوب والهنــات .

ونهض رئيس الجلسة عن مقعده بعد أن أودع أوراقه حقيبته الجلدية ، معلنا بهذا انتهاء الجلسة .

ووضع تقرير اللجنة موضع الاعتبار ، قبل أن تتخذ منه الصحف مادة لمهاجمة المسئولين . وأصدر مجلس ادارة الشركة أمره بتنحية كل من مستر فيتش ومستر رادلى عن وظيفتيهما الرئيسيتين .»
وتسلم كل من فيريس وليمنج انذارا بضرورة احترام أوامر الشركة وعدم الاخلال بها لأى سبب من الأسباب . وانه فى حالة عدم تنفيذ أوامر الشركة بكل دقة سينظر فى أمرهما بشدة .

أما مارك كيلستون ، فكان هو الشخص الوحيد الذى خرج من هذا التحقيق نظيف الاسم لاتشوب تصرفه شائبة . ورأت الشركة أن تكرمه فى شخص زوجته وابنه بتوفير حياة كريمة لهما . وضاعفت معاشه ومبلغ تأمينه حتى أصبحت حالتهما المالية خيرا مما كانت ابان حياته . ورأت فيرونيكا أنه يحسن بها أن ترتدى ثياب الحداد محافظة على المظاهر والتقاليد .

وبعد بضعة أسابيع ، ولم تكن قد خلعت ثياب الحداد بعد ، فتحت باب مسكنها ساعة تناول الشاى ، وقالت لزميلها مصمم الأزياء الذى سبق أن انتظرته طويلا فيما قبل :

ـ ايفور ! كيف كان ذلك ؟ انك تحضر مبكرا فى هذه المرة !»

ان كل شىء تغير عما كان عليه خلال الأربعة شهور الماضية .. وها هى الدورة تتم دورتها وتسير قدما . وهذه هى الرياح العكسية تتم هى الأخرى دورتها عارمة قوية حول قلب العاصفة الهادىء الساكن . وهناك فى مركز الوسط منها ، ميشيل ليمنج ، الذى يتبين ان كل شىء قد ظل على حاله سليما لم يمسسه سوء بالنسبة له .

فعندما كان يدخل غرفة الكابتن المخصصة له بفندق كاريراس، فى أول رحلة يقوم بها بعد هذه الاحداث ، كان يشعر بالحمد

والشكر ، لأنه يستطيع أن يخلد للراحة والعزلة التى كان ينشدها منذ أمد بعيد ، حتى يريح ذهنه المكدود وعقله المضطرب بما يشغله ويقض عليه مضجعه .

وتعمد أن يتخلف عن موعد العشاء . وجلس يقطع الوقت فى قراءة كتاب أتى به معه ليشغل به وقته فى ساعات الفراغ خلال رحلته . وما أن وافت الساعة التاسعة حتى أشاع هدوء الغرفة فى نفسه السكينة والاطمئنان وارتاح بالا . ومنى نفسه بنوم طويل عميق يعيد لنفسه حالتها الطبيعية من الأمن والاستقرار . فنهض واستلقى على فراشه الوثير ، واستسلم بعد قليل لنوم عميق .

واستيقظ من نومه فى منتصف الليل على صوت جلبة وضوضاء شديدة . وجلس فى فراشه يتساءل ، بعد أن أصاخ السمع ولم يتبين الا السكون والهدوء ، عن السر فيما سمعه من ضوضاء أخرجته من نومه العميق . ثم سمع همسا يدور بين شخصين . بين رجل وامرأة . همسا تختلط به بعض الضحكات الناعمة . ثم كان صمت وسكون ، أعقبه صوت ضحكات عالية . ثم خيم السكون على المكان . وبعد ذلك بدأت الضوضاء تعود من جديد وتشتد بجوار المدفأة . وخيل اليه أن مصدر كل مايسمعه من أصوات هو الحجرة المجاورة . وأرهف أذنيه ليتبين حقيقة الأمر ، فسمع الضحكات وود لو يشارك القوم مرحهم وسمرهم . ثم بدأت الأصوات تخفت شيئا فشيئا حتى لم يعد يسمع منها شيئا واستسلم للنوم مرة أخرى .

واستيقظ بعد ساعة ليسمع صوت امرأة رقيق يردد أغنية حالمة وعادت الأصوات الصاخبة تملأ عليه سمعه من جديد . فنهض من فراشه ، وراح يدق على الجدار بيده حتى ينبه العابثين الى أنهم يجب أن يهدأوا ويسكنوا . ولما لم يجد من ذلك جدوى ، خرج الى الدهليز يدق الباب المجاور له بعنف . الا أن أحدا ما لم يجبه أو يخرج اليه . فأمسك بمقبض الباب يحاول فتحه ، فاستجاب له الباب الذى لم يكن مغلقا . ولما دخل الغرفة وجدها مظلمة لا حياة فيها .

وقفل راجعا الى غرفته محاولا ان يقنع نفسه بأن كل ذلك لم يكن الا محض خيال صوره له عقله المضطرب المشوش وذهنه المتعب المجهد . وجلس على أحد المقاعد واسترخى ليريح أعصابه المشدودة. ورأى فيما بينه وبين نفسه ، أن كل هذا الذى سمعه لم يكن الانتيجة لما تعرض له من ارهاق وجهد وانشغال بال . وبعد ان تناول قرصين من الاسبيرين ، نهض عن مقعده متجها الى فراشه . وفى منتصف المسافة بينهما ، طرق سمعه نغم شعبى تشيكى يترنم به صوت مارك الذى يعرفه وسمعه من قبل يردد هذا اللحن ويصارحه بأنه تلقاه عنها .. عن كارينا ، التى عاد يسمع ضحكاتها الناعمة ترن فى أذنيـــه .

فنادى بصوت خافت : « مارك .. مارك » ولم يجبه أحد . وتلفت حواليه فلم يجد أحدا . ثم واصل خطواته الى فراشه وجلس مستغرقا فى التفكير . وفجأة اتضح له السر فيما يقض عليه مضجعه ويؤرق ليله ويمضه ألما . وظهرت أمامه الحقيقة قاسية لا ترحم . ان مارك قد استطاع أن يحل جميع مشاكله فجأة . وهذا الرجل الذى تحدى المجتمع وتقاليده ، قد أدى بشرف وجدارة ماكان يطالبه به من ديون له عليه . لقد كفر عن ذنوبه وخطاياه . فلما أدى هــذا الدين اداء سخيا غير منقوص ، استعاد اسمه سليما لاتشوبه شائبة وكان هو الشخص الوحيد الذى لم يكتنفه ظلام التحقيق وما دار فيه مما كشف عن نقائص غيره وعيوبهم . أما هو فقد أشاد رئيس اللجنة بذكره وبكفاءته وببعد نظره . ونالت أسرته من بعده ما يحقق لها حياة كريمة وعيشا رغدا . مامن أحد الآن ليجرؤ على أن ينطق بحرف ضده أو يتقول عليه بشىء . فقد وضع الموت حدا لجميــع مشاكله وسدد عنه ديونه للمجتمع وحفظ لاسمه بريقه وبهاءه ولأسرته قوام حياتها . أما هو ــ ليمنج ــ فقد خرج من التحقيق مقصرا لم يؤد واجبه على الوجه الأكمل .

ان مجموع ماقضاه مارك كيلستون من أيام وساعات سـعيدة هانئة ، لايتجاوز عدا العشرة أيام ، شاركته فيها كارينا التى لم تعرف الهناء من قبل . وهاهما يدفعان حياتهما ثمنا لتلك اللحظات القليلة

من السعادة والهناء . وذلك لأنهما بالرغم من ذلك كانا قد تجاهلا تقاليد المجتمع وعاداته ولم يحترما شرائع السماء وقوانين الأرض ، وتعرضا للوم اللائمين ونقدهم فى سبيل ساعات قليلة من النعيم المختلس . تلك الساعات التى قطعت عليها أيام العمر والحياة ، وحرمهما الموت معا من مواصلة ما خيل اليهما انه نعيم مقيم .

وفى الموت تكفير عن الخطايا ورد لاعتبار البشر ، لانه ينقلهم من الأرض الى السماء ، ليصبحوا وديعة بين يدى خالقهم ، الذى يتولى هو أمرهم . ولا يجمل بنا أن نتدخل فى شئونه أو فى حكمه . دع الخلق للخالق .

((تمت))

الدار القومية للطباعة والنشر

الثقافة والارشاد القومى

مركز الاشعاع الثقافى

فى العالم العربى

من القاهرة

مجلة الإذاعة والتليفزيون

مجلة بناء الوطن

ARAB OBSERVER

L'OBSERVATEUR ARABE

The Scribe ARAB REVIEW

Le Scribe REVUE ARABE

El Escriba REVISTA ARABE

Der Schreiber

مكتبات الدار

نيويورك

لندن

الجزائر

بيروت

طرابلس

بغداد

الخرطوم

الاسكندرية

القاهرة

يصدر عنها

روايات عالمية — الكتاب الماسى

مذاهب وشخصيات — من الشرق والغرب — كتب سياسية

كتب قومية — فى المسرح الم...

اخترنا للجندى — اخترنا للطا...

دراسات اشتراكية — رسائل جام...